مسابقة الأدباء المسرحية

(ثقافة الطفل - ٢٠٠٩)

صورة الغلاف
ضحى الخطيب

مسابقة الأدباء المسرحية / تأليف مجموعة من الأدباء، رسوم مجموعة من الرسامين . – دمشق الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٢ .– ٢٣٢ ص : مص ؛ ٢٠سم.

١–٨١٢,٠٠٨ ط م أ م م ٢– العنوان

مكتبة الأسد

مسابقة الأدباء المسرحية

(مديرية ثقافة الطفل - ٢٠٠٩)

تأليف : مجموعة من الأدبـــاء
رســوم : مجموعة من الرسامين

الهيئة العامة السورية للكتاب - منشورات الطفل

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٣م

الجائزة الأولى

«عصفورة النجاة»

مسرحية للأطفال

تأليف : ضاهر أحمد عطية
رسـوم : ضحى الخطيب

شخصيات المسرحية

١. الطفل وسيم .
٢. الطفلة وردة .
٣. الطفل جاك .
٤. الطفلة نينا .
٥. الطفل زكور .
٦. الطفلة ساندرا .
٧. الطفل توم .
٨. الربان .
٩. مساعد الربان .
١٠. عصفورة النجاة .
١١. جندي . يمثل حضورها فقط صوت .
١٢. الجنرال . يمثل حضوره فقط صوت .
١٣. عدد من الأطفال. يمثل حضورهم مجرد أصوات.

الفصل الأول

المشهد الأول

فرنســـا . مدينة مرســـيليا على شاطئ البحر المتوسط. نهاراً .

(يسمع صـــوت صفير الريح، وصـــوت أمواج هدير البحر. بينما جاك و نينا يجلســـان في حالة من الترقب والانتظار.

جاك يحدق إلى الســـماء بشغف وترقب. نينا تكتب على الرمال عبارات محددة لملء الوقت. لكن الرياح سرعـــان ما تبعثر الرمال، فتمحو الحروف. تعبر نينا عن سأمها) .

نينا : هه!..

جاك : (دون أن يلتفت) ما بك نينا؟..

نينا : كلمـــا كتبت عبـــارة على الرمـــل ، أتت الريح ومحتها..

جاك : وما العبارة التي تكتبينها على الرمال؟..

نينا : مرسيليا الجميلة ، مدينتي الحبيبة!..

جاك : يـــا لها من عبـــارة جميلة.. وأضـــيف عليها: مرسيليا الجميلة حبيبة جاك..

نينا : كيف أضيف عليها عبارتك ، والرياح لا تسمح لي بكتابة العبارة الأولى؟..

جاك : لا يهم.. فهي مكتوبة على صفحات قلبي..

نينا : مكتوبة على صفحات قلبك!!..كيف؟..

جاك : كل إنسان يحتفظ في قلبه بحب كبير وطنه..

نينا : حقاً يا جاك؟!..

جاك : وهـذا الحب لا يمكـن محوه مهما اشـتدت الرياح..

نينا : معنى هذا أن قلوب الناس المحبة أشد صلابة من رمال الشاطئ..

جاك : ومن الصخور، والأعاصير..

نينا : إذا فلتهبِّـي كيفما شـئت يا ريـح، فإن حبي لمدينتي نقشٌ في قلبي..

جاك : لا داعي لذلك، فالرياح قوية بما يكفي..

نينا : ومع ذلك تأخر وصـول الطائرات الورقية.. أخشى أن تضل طريقها، فلا تصل إلينا!..

جاك : إذا كان أصدقاؤنا قد صنعوها جيداً، وكتبوا عليها العناوين بدقة فمن المستحيل أن تضل طريقها..

نينا : إذاً لماذا تأخر وصولها حتى الآن؟!..

جاك : ربما صـــادفت في طريقها أسراباً من الطيور والعصافير، فراحت تسابقها..

نينا : وهل هذا وقت سباقها مع الطيور والعصافير و نحن ننتظرها بفارغ الصبر؟!..

جاك : هذا ليس ذنبها، بل ذنب الطيور والعصافير، فهي مغرمة باللعب بالطائرات الورقية..

نينا : ليؤجلوا اللعب معها إلى يوم الكرنفال..

جاك : ليتهم يفعلونَ ذلك، ويدعونها تصـــل بأقصى سرعة!..

(في هذه الأثنـــاء تظهر في الأفق البعيد عدة طائرات ورقية. تقترب شـــيئاً فشـــيئاً. ينتبه جاك ويهب واقفاً معرباً عن فرحته) .

جاك : نينا!.. نينا!.. وصلت!.. وصلت!.. انظري يا نينا!.. إنها هناك!..

نينا : (كذلـــك تقفـــز فرحـــة) وصـــلت.. آه.. نعم وصلت!.. يا لها من طائرات ورقية كثيرة.

جاك : خمســـ طائرات !..لا بل ســـت طائرات.. لا أكثر.. أكثر!..

نينا : نعم أكثر.. وهي قادمة من جهات عدة!..

جاك : أجل.. انظري!.. فبعضـــها آت من الشمال.. وبعضها الآخر من الجنوب.. و الغرب و..

نينا : (تسارع فتمســـك بإحدى الطائرات) أمسكت بهـــذه.. انظر إلى رقـــة جناحيهـــا، وعذوبة ألوانها..

جاك : من أرسلها؟..

نينا : (تقـــرأ العبارات المكتوبة علـــى الطائرة) إنها من صديقتنا ساندرا القاطنة في فانكوفر..

جاك : تلـــك المدينة الواقعـــة على شـــاطئ المحيط الكندي؟..

نينا : نعم..

جاك : آه عرفتها .. شـــكراً لك يا ســـاندرا!.. ها قد تسلمنا طائرتك.. (يمسك بطائرة آخرة ، ويقرأ ما كتب عليها) نينا ، انظري إلى الخطوط التي رسمت على جناحيها!..

نينا : تبدو كفراشة كبيرة.. من أين وصلتنا؟..

جاك : أيضـــاً من صـــديقنا توم القاطـــن في مدينة فانكوفر!..

نينا : أحســـنت يا توم على إرســـالك هذه الطائرة الجميلة!.. هل تعلم يا جاك أن توم وساندرا صديقان؟..

جاك : نعم، أعلم ذلك..

نينا : (تقفز وتمسك بطائرة جديدة) آوه.. وهذه من صديقنا زوكو القاطن في اليابان..

جاك : شكراً لك يا زوكو على هذه الرسالة والطائرة الجميلة..

(يمسكان بالطائرات جميعها، ويقرآن ما كتب عليها).

نينا : أرأيت؟. جميعهم يؤكدون حضورهم إلى كرنفال الطائرات الورقية..

جاك : كم سيفرح هذا الخبر صديقينا وسيم ووردة..

نينا : ولا تنس أننا سنمثل هناك، و أمام عدد كبير من الأطفال، مسرحية (سندريلا والأمير).

جاك : ما أروع ذلك.. أنا سألعب دور والد الأمير..

نينا : ووردة ستلعب دور الأميرة..

جاك : وأنت؟..

نينا : أنا وصيفة الأميرة..

جاك : معنى هذا، أن وسيم سيلعب دور الأمير..

نينا : بالتأكيد..

جاك : تخيلي روعة المشهد يا نينا. أطفال من جميع أنحاء العالم يطلقون معاً، وفي وقت واحد،

طائرات ورقية ملونـــة.. ثم يلي ذلك مباشرة عرض مسرحي .. كل هذا ســيحدث احتفالاً بقدوم العام الجديد..

نينا : وأين؟..في الديار المباركة.. (فجأة تستدرك أمراً ما، فتبدي أسـفها ودهشتها وهي تقلب بين الطائرات الورقية).
لا، مستحيل!.. لا أصدق!..

جاك : ماذا؟!..

نينا : جـاك أليس غريباً ألا تصـلنا أي طائرة من هناك..

جاك : من أين؟!..

نينا : من فلسطين ..

جاك : كيـف ؟ !.. ومـاذا عن طائرات وسـيم ووردة؟ ؟!..

نينا : (تشـير إلى الطائرات التي أمسـكا بها للتو) انظر.. هذه ليسـت من وسيم.. و هذه ليست من وردة..

جاك : (متفحصاً الطائرات) ولا هذه.. ولا هذه..

نينا : لم تصلنا منهما أية طائرة!..

جاك : لم ؟!.. لم ؟!..

(فجأة يُسْمَعُ صــوت زقزقة عصفورة النجاة. تتطلــع نينا وجاك إلى الســماء، يتبعان حركة طيرانها، بغبطة ودهشة).

نينا : جاك!.. انظر!.. ما هذا الطائر!..

جاك : يا إلهي!.. لم يسبق لي أن رأيت طائراً مثله!..

نينا : يبدو أنها حمامة!..

جاك : لا ، لا أظنها حمامة..

نينا : إذاً قد تكون فراشة..

جاك : الفراشات لا تزقزق على هذا النحو.. اسمعي!..

نينا : إذاً هي طائرة ورقية..

جاك : أظنها آتية من وسيم ووردة..

نينا : أرجو ذلك!..

جاك : ها هي ذي تقترب منا!..

(في هذه الأثناء تحط عصفورة النجاة بالقرب منهما، تقفــز وتأتي ببعض الحــركات تعبيراً عما تريد قوله، إلا أن جاك ونينا لا يستوعبان الإشارات).

نينا : لا يا جاك.. ليست طائرة ورقية!..

جاك : طائر.. طائر جميل..

نينا : انظر كيف يحرك جناحيه..

جاك : يا لرشاقته المذهلة..

نينا : نعم مذهلة.. ولكن لِمَ يستمرانِ في تحريكهما على هذا النحو؟..

جاك : لعله يستعرض أمامنا موهبته في الرقص..

نينا : هذا ليس رقصاً يا جاك ..

جاك : ماذا إذاً ؟!..

نينا : أظنه يبلغنا أمراً ما..

جاك : أيُّ أمر؟!..

نينا : هيه!.. أيها الطائر الجميل.. ما وراءك ؟..

(تستمر عصفورة النجاة في تحريك جناحيها والقفز هنا وهناك).

جاك : بالله عليك، إن لم يكن هذا رقصاً..أفصح عن غايتك أرجوك!..

(تدنو عصفورة النجاة من إحدى الصخور، وتخط عليها بألوان جناحيها عبارة «من منكم جاك.. ؟ ») .

نينا : يا للدهشة !..انظر! لقد حَوَّلَ جناحيه إلى قلم، وها هوا ذا يكتب حروفاً على الصخر..

جاك : لعلها رسالة..

نينا : رسالة؟!..

جاك : (يبادر على الفور، وقد تسنَّى له قراءة العبارة) أنا!.. أنا جاك!..

(تعبر عصـــفورة النجاة عـــن فرحتها، وتخط عبارة ثانية من خـــلال جناحيها «ومن منكما نينا ..؟». تبادر نينا وقد قرأت العبارة) .

نينا : أنا هي نينا.. نعم أنا.. (تكتب عصفورة النجاة عبارة « أنا عصفورة النجاة ») اسمها عصفورة النجاة !!.

جاك : ما أجمل اسمَك..

نينا : ومن أين أتيت؟..

(تتلفت عصـــفورة النجاة هنا وهناك، وعندما تطمئنُّ إلى خلوِّ المكان ، تخرج من بين جناحيها، بقايـــا أشـــــلاء طائـــرة ورقية. تضعـــها على الصخرة ،وتمضي على الفور محلقة في الفضاء. نينـــا وجاك يبديـــان دهشـــتهما، ويلاحقانها بنظراتهما، ثم يســـارعان ويتفحصان الطائرة الورقية).

جاك : طائرة دون خيوط!..

نينا : و من دون أجنحة ..

جاك : أطرافها محترقة..

نينا : جاك!.. انظر هنا!..

جاك : ماذا؟!..

نينا : كتب عليها اسم وردة..

جاك : وهنا اسم وسيم..

نينا : هذا يعني أنها رسالة موجهة لكلينا..

جاك : اقرئيها..

نينا : (تعبر عـــن فرحتها وقد باشرت تقـــرأ) أوه يا جاك..

جاك : ماذا يا نينا؟!..

نينا : يؤكـــدان هنـــا أنهما بعثـــا لنا بعـــدد كبير من الطائرات الورقية..

جاك : كيف.. ولم تصلنا منهما أية طائرة؟!..

نينا : وهما يقولان أيضاً: إنّ أيّاً من طائراتنا لم تصل إليهما..

جاك : كيف؟.. كيف لم تصلهما؟..

نينا : (تتلاشى فرحتهما) لا أعرف..

جاك : أخشى أن يكون مصير الطائرات التي أرسلناها، كمصير هذه.. (مشيراً إلى الطائر الممزقة).

نينا : مـــاذا؟ !.. ولكن من له مصـــلحة في أن تقطع خيوطها، وتمزق أجنحتها؟!..

جاك : ربما هاجمتها بعض الطيور أثناء تحليقها في الفضاء..

نينا : لا.. مستحيل.. فالطيور تلاعب الطائرات الورقية، ولا تؤذيها..

جاك : إذاً من فعل بها هذا؟!..

نينا : كان علينا أن نسأل عصفورة النجاة..

جاك : عصفورة النجاة!.. أين أنت يا عصفورة النجاة؟.. أين أنت؟..

نينا : اختفت !.. ولم يبقَ لها من أثر..

جاك : أبلغتنا رسالتها، وعادت من حيث أتت..

نينا : ومن أين أتت؟!..

جاك : من الديار المقدسة،حيث يقطن وسيم ووردة؟..

نينا : هه من فلسطين!!..كيف تسنى لها قطع كل هذه المسافات الطويلة، حاضنة بين جناحيها الرقيقين بقايا طائرة ورقية ممزقة؟.

جاك : يبدو أنها تكبدت كثيراً من العناء..

نينا : يا لعصفورة النجاة.. غامرت بحياتها لتحمل لنا هذه الطائرة!..

جاك : و تبلغنا أن طائراتنا لم تصل إلى صديقينا...

نينا : أنكون قد أخطأنا في كتابة العنوان؟..

جاك : قد نخطئ في كتابة العنوان على جناح طائرة، اثنتين، ولكن ليس على أجنحة الطائرات الست التي أطلقناها..

نينا : ربما لم نصنعها على نحو جيد؟..

جاك : ماذا؟!..

نينا : جاك! لم لا نحاول صنع طائرات جديدة، ونكتب على أجنحتها العنوان بدقة أكثر، ونرسلها إليهما في الحال؟..

جاك : ليس أمامنا خيار آخر.. وعلينا إبلاغهما أننا وجميع الأصدقاء سنسافر إلى الديار المقدسة للمشاركة في كرنفال الطائرات الورقية.

نينا : والمشاركة في عرض مسرحية سندريلا والأمير..

جاك : بالتأكيد.. هيا !.. هيا لنصنع طائرات جديدة..

- إعتام تدريجي -

المشهد الثاني

فلسطين. يافا الساحلية.

ساحة عامة محاطة بالبيوت.

(وسيم يطلق طائرة ورقية، و يتعقب مسيرها إلى أن تختفي. يردد تعبيراً عن حماسته وشغفه).

وسيم : هيـــا!.. هيـــا يـــا طائرتي..انطلقـــي إلى نينا وجاك في مرسيليا.. بلغيهم أننا ننتظر وصول طائراتهـــم الورقية منذ مـــدة طويلة، ولكن لم تصلنا منهما طائرة واحدة حتى اللحظة، رغم إرسالنا لهما كثيراً منها..

(تظهـــر وردة وهي تســـير ببـــطء متطلعة إلى الســـماء بحثاً عن أمر ما، ينتبه وســـيم ويبادر مستوقفاً) .

وردة!.. وردة!..

وردة : لحظة!.. لحظة يا وسيم!..

وسيم : وردة! للتـــو أطلقت طائرة ورقيـــة جديدة إلى جاك ونينا في مرسيليا..

وردة : (دون أن تشـــيح ببصرها عن السماء) لا أظن إنها ستصلهما..

وسيم : لِمَ تقولين ذلك؟!..

وردة : أنظر!.. (تخرج من حقيبتها بقايا أشلاء طائرة ممزقة).

وسيم : ما هذه.. ؟

وردة : طائرة..

وسيم : أعرف !.. ولكن أين خيوطها؟!..

وردة : لا خيوط لها..

وسيم : وأجنحتها؟!..

وردة : لا أجنحة لها..

وسيم : أين عثرت عليها..

وردة : وجدتها عند حافة نافذة غرفتي..

وسيم : عجباً!..كيف حطت على نافذتك ، وهي تفتقر للأجنحة والخيوط ؟..

وردة : أحدهم حملها ووضعها هناك..

وسيم : من؟!..

وردة : عصفورة النجاة.

وسيم : من عصفورة النجاة؟!..

وردة : أنا مثلك لا أعرف عنها سوى اسمها ..لمحتها تكتبه بريشة جناحها على النافذة .قرعت زجاجها على نحو خفيف، ثم تركت هذه الطائرة.. وانطلقت تحلق في الفضاء مذعورة!.. خائفة!!..

وسيم : مذعورة !.. خائفة!.. ما السبب؟!..

وردة : لا أعرف !..

وسيم : ومن أين جلبت هذه الطائرة؟..

وردة : من نينا وجاك.

وسيم : نينا وجاك!.. أيعقل أن تكون المسافات البعيدة فيما بيننا هي من قطع خيوطها وأجنحتها؟!..

وردة : ربما!..

وسيم : ولكن في السابق كانت طائراتهما تصلنا سالمة..

وردة : وكذلك طائراتنا كانت تصلهما سالمة..

وسيم : والآن؟!..

وردة : لم تعد تصل إلى أي من أصدقائنا..

وسيم : كيف؟!.. من أخبرك ؟!..

وردة : هذا ما ذكرته نينا وجاك في الرسالة !.. خذ اقرأ!.. (تقدم له الطائرة الممزقة) .

وسيم : (يقرأ ويبدي دهشة مضاعفة) لا، مستحيل!..

وردة : إنها الحقيقة يا وسيم..

وسيم : نعم .. ولكن أريد معرفة السبب الذي يحول دون وصولها؟!..

وردة : (ببعض الحرج) وسيم!..

وسيم : ماذا؟..

وردة : أنـــا واثقـــة.. بـــل متأكـــدة أنك تجيد صـــنع الطائرات الورقية.. ولكن عســـى أن تكون في الآونة الأخيرة قد أخطأت في لصق جناحيها، أو ربط خيوطها وهذا..

وسيم : (مقاطعاً) مـــاذا تقولين يا وردة؟.. ثم لنفرض أني أخطـــأت في كل هـــذا، فلـــم طائراتهم لا تصلنا هي أيضاً؟!.

وردة : آه!.. معك حق.. نعم حتى طائراتهم لا تصلنا!.

وسيم : (بأس ومرارة) أخشى أن يؤدي انقطاع تواصل الطائـــرات فيمـــا بيننا، إلى حـــدوث خلل في الإعداد والتحضـــير للكرنفال الذي ســـنقيمه هنا.. أي لا كرنفال، ولا عرض مسرحيّاً..

وردة : لا مـــن هـــذه الناحية لا تقلق يا وســـيم، فنينا وجـــاك يؤكدان أن عدداً كبيراً من أصـــدقائنا سيحضرون لمشاهدة مسرحيتنا، ومشاركتنا في كرنفال الطائرات الورقية..

وسيم : رغم أن طائراتنا لا تصلهم؟..

وردة : لعل عصفورة النجاة أوصلت إليهم بعضها..

المشهد الثالث

عند شاطئ البحر في مدينة مرسيليا الفرنسية.
(نينا وجاك يركضان في عدة جهات يحاولان إطلاق طائرتيهما من الورق) .

نينا : هيا!.. هيا إلى الأعلى يا طائرتي!..

جاك : هاقد صنعناك على نحو جيد..

نينا : اذهبي إلى صديقيّنا، وبلغيهما تحياتنا..

جاك : وأخبريهما أننا قريباً سنلحق بك ونسافر إليهما..

نينا : هيا انطلقي! لا تخافي!.. لن تضلي الطريق!..

جاك : هيا!.. فها أنا أحرر خيوطك من يدي!..

نينا : وسيم ووردة يترقبان وصولك بشغف وشوق..

جاك : انطلقي!..لا تخشي البرد! فما إن تصلي إلى الديار المقدسة، حتّى تداعب أجنحتك شمس دافئة.. وهواء معطر بالياسمين.

نينا : وتتنشقين رائحة شجر الليمون، والزيتون..

جاك : ما أروع منظرك وأنت تحلقين بألوانك الزاهية فوق أشجار النخيل العملاقة..

نينا : وبين تلال الجبال.. ومآذن المساجد، وأجراس الكنائس..

جاك : انطلقي!.. فيمكنك هناك ، في دقائق معدودة، الطواف حول الكون بأسره..

نينا : نعم، فجميع أجزاء الكون تجتمع هناك في فسطين..

جاك : هيا.. هيا..

(يصمتان ويتطلعان إلى الجهة التي توارت فيها الطائرة. لحظات وتبادر نينا).

نينا : جاك!..

جاك : ماذا نينا؟!..

نينا : هل ربطت الخيوط بإحكام ؟.. هل ثَبَّتَّ الجوانح كما ينبغي؟..

جاك : نعم ، وكتبنا العنوان على نحو دقيق..

نينا : ولكن ماذا لو أن لغزاً ما حال دون وصولها؟!.. (صمت).

جاك : لغز!..

نينا : جاك!.. أتحمل معك صور صديقينا وردة ووسيم؟..

جاك : أجل .. إنها معي هنا.. (يشير إلى حقيبته) ..

نينا : أرني إياها ..

جاك : لماذا؟..

نينا : لنتأمل جيداً كيف صنعا طائراتهما الورقية، وما السر الذي حال دون وصولها إلينا..

جاك : رغم أن وسيماً يجيد صنعها على نحو لا ينافسه فيه أحد..

(يخرج جاك مجموعة صور فوتوغرافية. يتأملانها. نرى انعكاس هذه الصور على ستارة شفافة في عمق المسرح، حيث يتم استعراض تلك الصور تباعاً، يظهر من خلالها وسيم ووردة وهما يمسكان بخيوط طائرتيهما الورقيتين وقد حلقتا عالياً في أمكنة مختلفة. صورة في ساحة القرية، وأخرى فوق سطح أحد المنازل، وقرب شاطئ البحر، في السوق، في الحديقة، في باحة المدرسة، قرب حقول الليمون والبرتقال.. أثناء استعراض الصور يتم التعليق عليها من قبل جاك ونينا).

نينا : انظر هنا أين وصلت طائرة وسيم..

جاك : أوه.. وها هي ذي طائرة وردة تحاول اللحاق بها..

نينا : ها هما يطلقان الطائرات الورقية في ساحة قريتهما..

جاك : وهنا يتحكمان بخيوطها فوق سطح بيت وسيم..

نينا : أو ربما يكون سطح بيت وردة..

جاك : لا .. أظنُّهُ سطح بيت وسيم..

نينا : ما أجمل موقعه.. انظر هنا.. كيف أن طائرة وسيم حلقت عالياً فوق الجبال الشاهقة..

جاك : نعم، فهو كما قلت لك ، ماهر في صنع الطائرات والتحكم بها. وها هي ذي طائرته تحلق هنا فوق أشجار النخيل العالية.

نينا : يا إلهي كم بلغت علواً شاهقاً..

جاك : ووردة تجيد أيضاً التحكم بخيوطها.. انظري فهي تطلقها في ساحة المدرسة..

نينا : وهنا يلعبان بالطائرات قرب شاطئ البحر..

جاك : يطلقانها في جميع الأمكنة.. ولكنها لا تصل إلينا..

نينا : ولا طائراتنا تصل إليهما..

جاك : ما أغرب هذا!.. نينا!..

نينا : نعم!..

جاك : ماذا سنفعل إن لم تصلهما؟..

نينا : في هذه الحالة سنسافر إليهما قبل حلول العام الجديد ببضعة أيام..

جاك : ماذا!.. وما الفائدة من ذلك يا نينا؟..

نينا : من الضروري أن نجري معهما تدريباً بسيطاً على كيفية إطلاق الطائرات الورقية قبل موعد الكرنفال.. والقيام ببعض البروفات المسرحية..

جاك : يا لها من فكرة!.. ولكن ألا يجب إبلاغهم عن مجيئنا المبكر؟..

نينا : بالتأكيد!..

جاك : نينا! ما زال بحوزتي طائرة أخرى!..سأدوِّن عليها خطة سفرنا المبكر، والغاية منه، ثم نرسلها إليهما..

نينا : هيا!.. هيا بسرعة يا جاك.. علها تلحق برفيقاتها، ويصلن جميعاً..

(يخط جاك على الطائرة الورقية بعض العبارات، ثم يمسك مع نينا بخيوطها ويطلقانها في الفضاء).

جاك : ها نحن أولاء نحاول للمـــرة المئة!..فأرجو أن تصلهما أخيراً..

نينا : هيا.. هيـــا.. رافقتك الســـلامة يـــا طائرتنا الغالية!..

- إعتام تدريجي -

المشهد الرابع

فوق أمواج البحر. ليلاً.

(عصـــفورة النجاة تحلق عاليـــاً، وتحوم حول مجموعة من طائرات ورقيـــة ، قُطعت خيوطها، ومُزقت أجنحتها، وراحت تتساقط تباعاً في المياه. تبدي عصفورة النجاة أسفها وحزنها لكونهـــا لم تفلـــح في إنقاذها مـــن الغرق. تهم أن تمضـــي في طريقها، لكنها تنتبه فجأة لطائرة ورقية أخرى، توشـــك على السقوط في مياه البحر، فتسارع وتمسك بها، تلقي عليها نظرة حزينـــة، تقرأ ما كتب عليها. تخبئها بين جناحيها ، وتحلق في الفضاء قاصـــدة جهة معينة، وقد راحت تواري نفسها خلف قمم الجبال، للنجاة من خطر تشعُرُ به) .

- إعتام تدريجي -

الفصل الثاني

المشهد الأول

فلسطين . يافا الساحلية. سطح بيت وسيم.

(يظهر وسيم فوق السطح يروح ويجيء، متطلعاً إلى السماء بشغف وشوق ، يترقب وصول الطائرات الورقية. فجأة يعبر عن غبطته، وقد لمح من مسافة بعيدة عصفورة النجاة، فيقفز متمتماً).

وسيم : طائرة!.. نعم طائرة ورقية متجهة نحوي!..لا ... ليست طائرة.. (تتلاشى فرحته) ربما نسر!.. لا، ليس نسراً .. حمامة!.. لا، ولا حمامة!.. لكنه طائر جميل!..

(تحط عصفورة النجاة على السطح، وتأتي ببعض الحركات والإشارات، لكنَّ وسيماً لا يفهم مغزى ما ترمي إليه).

ماذا وراءك أيها الطائر!..كم أنت جميل!. ولكنك تبدو حزيناً وخائفاً .. آه.. الآن عرفتكِ.. أنتِ عصفورة النجاة.. نعم تلك العصفورة التي حطت على نافذة صديقتي وردة .. ها!.. ما الذي تريدين قوله؟..

(تتلفت عصفورة النجاة في عدة جهات تعبيراً عن قلقها وخوفها، تُخرِج من بين جناحيها طائرة ممزقة. تعطيها لوسيم، وتسارع محلقة نحو الفضاء).

انتظري يا عصفورة النجاة.. انتظري!..ممَّ أنت خائفة؟.. من أين أتيت بهذه الطائرة؟.. أرجوك عودي!..

أخبريني : من قطع جناحيك ؟.. من مزق خيوطك؟.. (يتفحص الطائرة فيعثر على رسالة كُتِبَ عليها).

إنها من صديقِنا نينا وجاك!.. (ترتسم ملامح السعادة على وجهه) ماذا؟.. سيحضران إلينا قريباً!..

(يصيح بصوت مرتفع) وردة !.. وردة ! .. (يهبط عن السطح) وردة !.. وردة!..

(تخرج وردة من أحد البيوت).

وردة : ما بكَ يا وسيم!..

وسيم : تعالَيْ ساعديني في تزيين الساحة..

وردة : لِمَ العجلة؟ .. فمازال أمامنا عدة أيام قبل مجيء العام الجديد..

وسيم : ولكن لم يبق أمامنا سوى يوم واحد على وصول نينا وجاك..

وردة : أحقاً ما تقول؟..

وسيم : نعم!..

وردة : وكيف علمت؟!..

وسيم : انظري!.. (يقدم لها الطائرة الورقية).

وردة : من أوصلها إليك؟!..

وسيم : صديقتك عصفورة النجاة!..

وردة : عصفورة النجاة!.. أكانت هنا؟!..

وسيم : أجل!..

وردة : أين هي؟!..

وسيم : أعطتني الطائرة ورحلت..

وردة : في أية جهة؟!..

وسيم : هناك !.. (يشير بيده) كانت خائفة ومذعورة!..

وردة : أما زال الذعر والخوف يلازمانها؟!.

وسيم : نعم، رجوتها أن تعلمني السبب!.. لكنها لم تصغ إليّ..

وردة : ترى هل لمجيء نينا وجاك ، علاقة بذعر وخوف عصفورة النجاة؟!..

وسيم : ماذا تقصدين؟..

وردة : تأتي عصـــفورة النجاة خائفة مذعورة، حاملة إلينا طائرة ممزقـــة.. وفجأة تقرر نينا وجاك المجيء إلينا بهذه السرعة!.

وسيم : لا، لا يـــا وردة.. ســـيجيئان ليتدربا معنا على المسرحيـــة. ولنجـــري معـــاً بعضـــ التجارب علـــى إطلاق الطائـــرات الورقيـــة قبل موعد الكرنفال..

وردة : (تعبر وردة عن فرحتها) آوه!.. هكذا إذا..

وسيم : هذا ما يقولانه في الرسالة!.. خذي اقرئي!.. (يعطيهـــا الطائرة. تقرأ ثم تبادر بنبرة تنم عن غبطتها) .

وردة : وسيم! هل تبعد مدينتهم عن مدينتنا كثيراً؟..

وسيم : تقع مرســـيليا على الجانـــب الثاني من البحر الأبيض المتوسط..

وردة : ياإلهي!.. إذاً ثمـــة مســـافـــة شاســـعـــة تفصل بيننا؟!..

وسيم : نعم..

وردة : وكيـــف ســـيتمكنان من الوصـــول إلينـــا بهذه السرعة؟!..

وسيم : عبر الطائرة..

وردة : الطائرة!!.. كيف؟.. فالطائرة الورقية لا تتسع لكليهما..

وسيم : قد يصنع لهما أحد العلماء طائرة ورقية كبيرة تتسع لكليهما.

وردة : وهل يمكن صنع طائرة ورقية تحملهما معا؟!..

وسيم : نعم، يمكن..

وردة : ولم لا تصنع لي واحدة مثلها..

وسيم : أنا لا أجيد صنع الطائرات الكبيرة.. ولكن عندما أكبر قد أفكر في ذلك..

وردة : حقاً؟!..

وسيم : أجل، وسوف أنقل بها المسافرين من عاصمة إلى أخرى..

وردة : وترسم عليها ألوانا زاهية كما هي عادتك..

وسيم : بالتأكيد..

وردة : عدني! أن تصنع لي واحدة منها..

وسيم : أعدك..

وردة : وتكون ألوانها زاهية؟..

وسيم : سأمزج الأزرق مع الأخضر، والبنفسجي..

وردة : فيجذب ســحر ألوانها المســافرين، ويطلبون مني نقلهم من عاصــمة إلى أخرى، ومن مدرســة إلى مدرسة، ومن حقل إلى حقل، ومن بيت إلى بيت..

وسيم : وتطوفــين على الناس أينما كانوا.. ترمين لهم براعم الزهور، وقطع الحلوى..

وردة : وطائرات ورقية صغيرة..

وسيم : ورسائل حب..

وردة : وحكايات جميلة..

وسيم : إذاً هيا ساعديني في تزيين الساحة..

وردة : كم سيكون احتفالنا جميلاً يا وسيم..

وسيم : سنطلق حينها عشرات الطائرات.. بل مئات..

وردة : بــل آلاف الطائرات الورقية.. خصوصــاً وأن معظم أصــدقائنا يطالبون أن تصنع أنت لهم طائراتهم..

وسيم : سأفعل..

وردة : وأن ترسم عليها صور أشياء جميلة..

وسيم : فراشات..عصافير..أشجار..أنهار..(يباشران معاً في تزيين الساحة).

- إعتام تدريجي -

المشهد الثاني

ليلاً:

(باخرة كبيرة تجوب عرض البحر، في طريقها إلى فلسطين ، تظهر فوق سطح المياه قطعة متناثرة من بقايا أوراق محترقة. يسمع صوت نينا وجاك يرددان أغنية، تتحدث عن رحلتهما).

نينا وجاك : منذ سنين، منذ دهور.
موج البحر يلف. يدور.
زنار أزرق من بلور.
يزين تيجان الصخور.
منذ سنين منذ عصور
قالوا:
من القدس انبثقت..
خيوط النور.
فكانت لأهل الكون
معابر وجسور
فتساقط نداها مطراً
وفاح عبق البخور
رائحة مسك وعطور

خذنا يا بحر خذنا
إلى أرض النور.
زدنا حلماً، حباً
زدنا كرماً وسرور.
(مع نهاية الأغنية، نسمع صوت الربان ومساعده).

ص المساعد : (بنبرة قلقة) سيدي الربان!.. سيدي الربان!..

ص الربان : ماذا أيها المساعد؟..

(في هذه الأثناء تضاء قمرة القيادة، فنراهما كليهما).

المساعد : ثمة أشياء غريبة تطفو على سطح المياه سيدي؟..

الربان : أين؟..

المساعد : هنا، هناك.. وفي كل الجهات..

الربان : عجباً!.. ما هذا؟!..

المساعد : لا أدري..

الربان : وجه أضواء الباخرة عليها مباشرة ..

المساعد : ها قد فعلت .. هل اتضح لكم أمرها؟..

الربان : يا للهول!.. مستحيل..

المساعد : ماذا؟.. ماذا؟!..

الربان : لون المياه أصبح قاتماً.. سأتجه إلى الشرفة لأعاين الأمر عن كثب...

(لحظات ويخرج الربان إلى شرفة الباخرة ويبدأ في معاينة مياه البحر، وسرعان ما يبدي دهشته).

ما أغرب هذا..

المساعد : ما الأمر يا سيدي؟!..

الربان : أشلاء قطع ورقية..

المساعد : أشلاء قطع ورقية!..

الربان : وقد تعرضت أطرافها للاحتراق ..

المساعد : ماذا؟!.. ومن أحرق هذا الكم الهائل من الأوراق وألقى بها في مياه البحر؟..

الربان : لحظة.. لحظة .. عثرت على شيء آخر..

المساعد : قل ما هو يا سيدي؟!..

الربان : ثمة خيوط كثيرة عالقة بها..

المساعد : خيوط!.. أي نوع من الخيوط ؟!...

الربان : تشبه تماماً تلك التي يربط بها الأطفال طائراتهم الورقية..

المساعد : أيعقل أن تكون كل هذه الأشلاء بقايا طائرات ورقية..

الربان : نعـــم.. نعم.. إنها طائـــرات ورقية!.. وها هي ذي الألوان التي خطها الأطفال على الجوانح تنحل في المياه..

(يلتقط الربان بضعة أشلاء ورقية).

المساعد : ماذا ترى؟!..

الربان : ثمة عبارات، وحروف كتبت عليها..

المساعد : حاول سيدي أن تقرأ شيئاً منها..

الربان : لايمكن!. فمعظـــم العبارات والحروف انحلت بفعل المياه.

المساعد : أهذا ما بدَّل لون مياه البحر؟..

الربان : نعم، حتّى أصبحت لزجة وقاتمة..

المساعد : ألا يشكل هذا خطراً على الأسماك ؟..

الربان : بالتأكيد!..

المساعد : يا للكارثة..أخشـــى أن تنقل حركة الأمواج أثر ذلك على كائنات البحر الصغيرة..

الربان : لن يقتصر أثرها على كائنات البحر الصـــغيرة فقط٠بل على معظم الكائنات، سواء أكانت في البر أو في الجو..

المساعد : يا للمصيبة!..هذا جريمة بحق الحياة..

الربان : نعـــم، فإحـــراق وتمزيق هذا الكـــم الهائل من الطائرات الورقية يعد جريمة بحق الحياة..

المساعد : وما العمل الآن يا سيدي؟!..

الربان : علينا نقل ركب الباخرة إلى الضفة الثانية من البحر بأقصى سرعة..

المساعد : معك حق يا سيدي .. خصوصاً وأنَّ طفلين صغيرين على متنها..

الربان : هيا تابع المسير!..

(تعاود الباخرة سيرها، ومازال الربان يراقب أشلاء الطائرات الورقية المحترقة. في هذه الأثناء تظهر نينا وتقف على شرفة الباخرة، وقد بدا عليها بعض القلق، فتبادر وتسأل ربان الباخرة).

نينا : ماذا يحدث أيها الربان؟!..

الربان : (يحاول أن يحجب عنها رؤية أشلاء الطائرات العائمة على سطح مياه البحر) مهلاً يا صغيرتي!.. فلا يجوز لطفلة في سنك الخروج إلى شرفة الباخرة في وقت متأخر كهذا.. أرجوك عودي إلى النوم..

نينا : حاولْتُ إغماض عيني لكن النوم هرب مني..

الربان : ومن سرقه من عينيك؟..

نينا : الخوف!..

الربان : الخوف؟!.. ممَّ أنت خائفة؟!..

نينا : لا أدري!.. ولَكــن خيــل لي أن أحــداً ما كان يتحدث عن أجنحة طائرات ورقية محترقة، أو شَيْءٍ من هذا القبيل..

الربان : لا.. لا أبداً.. ومن سيطاوعه قلبه على إحراق طائرات ورقية؟.. ربما كنت تحلمين..

نينا : كيف أحلم ، ولم تغمض عيناي أيها الربان؟!...

الربان : (يحاول تغير ســياق الحوار) آه ! صــحيح..لا عليك! قولي لي الآن.. من ستزورين في رحلتك هذه؟..

نينا : صديقيّ .. وردة.. ووسيم..

الربان : أهما رائعان مثلك..

نينا : نعم، فوســيم يجيد صــنع الطائرات الورقية بطريقة مذهلة، وكذلك وردة تعرف جيداً كيف تطلقها في الفضاء..

الربان : (يبدي دهشته) ماذا قلت؟..

نينا : ما بك أيها الربان؟..

الربان : لا.. لا شيء.. وكم عمرهما؟..

نينا : هما قريبان من عمري وعمر جاك..

الربان : أي إنهما طفلان صغيران!..

نينا : نعم!..

الربان : وماذا ستفعلون بعد أن يتم اللقاء بينكم؟..

نينا : سنقيم هناك كرنفالاً عظيماً من الطائرات الورقية، وسيشاركنا أطفال كثر من أنحاء العالم ..

الربان : تقيمون كرنفالاً من الطائرات الورقية؟!!..

نينا : ليس هذا فقط.. وسنمثل معاً مسرحية سندريلا والأمير..

الربان : فكرة رائعة.. بالتأكيد رائعة.. ولكن.. (يصمت)

نينا : ولكن ماذا أيها الربان؟!..

الربان : لا، لا شيء. عودي إلى حجرتك عسى النوم يزور عينيك ، فيتسنى لك أن تحلمي بكرنفال الطائرات الورقية..

نينا : سأحاول!. تصبح على خير..

الربان : تصبحين على خير. (تدخل نينا إلى حجرتها، يبادر الربان معرباً عن دهشته واستغرابه). لا أصدق، فما يحدث يدعو إلى الحيرةِ والاستغراب..أسمعت أيها المساعد؟..

المساعد : ماذا سيدي الربان..

الربان : الطفلة الصغيرة وصديقها يقومان بهذه الرحلة للمشاركة في كرنفال الطائرات الورقية.

المساعد : مـــاذا ؟!.. الأطفــال يحلمــون بكرنفــال من الطائرات الورقية..

الربان : والطائــرات الورقية تطفو هنـــا محترقة على سطح المياه..

المساعد : ماذا يعني هذا؟..

الربان : أحدهم يقدم على حرقها..

المساعد : تُرى : أيُّ أطفال يفعلون ذلك؟..

الربان : مســتحيل أن يكون هـذا من صــنع الأطفال.. فكيـــف يحرقونـها وهــي أحـب الأشــياء إلى قلوبهم..

المساعد : من يفعلها إذاً؟..

الربان : لا أدري!.. لا أدري!..

(يدخــل الربــان إلى حجرة القيادة وتســتمر الباخرة في تقدمها) .

- إعتام تدريجي -

المشهد الثالث

فلسطين . يافا الساحلية . نهاراً.

(يســمع صوت أزيز الريح وأمواج البحر. وردة ووســيم يتطلعان إلى الســماء يترقبان وصول الطائرة الورقية الكبيرة التي ســتحمل إليهما نينا وجاك. تعبر وردة عن نفاد صبرها).

وردة : ما من أثر لأية طائرة ورقية في السماء..

وسيم : اصبري يا وردة، لا بد وأن تصل عما قريب..

وردة : ولكنَّها تأخرت كثيراً..

وسيم : ربما جاك ونينا لا يقودانها بالسرعة المطلوبة..

وردة : الرياح قوية ومن المفترض أن يضــاعفا سرعة الطائرة..

وسيم : معك حق..

وردة : أخشى أن يكون من صنع لهما الطائرة الورقية، قد أخطــأ في توجيه خيوطها..في هذه الحالة ستتجه بهما إلى مكان آخر..

وسيم : يــا للمصــيبــة!.. وهكــذا لــن يشاركانا في احتفالاتنا.. (في هذه الأثناء يسمع صوت بوق باخرة آت من بعيد) ما هذا الصوت ؟.

وردة : لعله صـــوت الطائرة الورقية التي تحمل جاك ونينا؟..

وسيم : لا، فالطائرات الورقية لا تصدر صوتاً كهذا..

وردة : ماذا يكون إذاً؟..

وسيم : اسمعي!.. يبدو أنه آت من هناك..

وردة : من جهة البحر؟..

وسيم : نعم..

وردة : تعال نستكشفِ الأمر!..

(يركضـــان إلى شـــاطئ البحـــر، وسرعان ما يلمحـــان في الأفق باخرة تقـــترب. تنتبه وردة وتبادر تعبيراً عن غبطتها وفرحتها).

وردة : وســـيم!..انظر!.. انظر إلى هناك!.. وصـــلت الطائرة..

وسيم : رأيتهـــا!.. ولكن يســـتحيل أن تكـــون طائرة يا وردة..

وردة : لم ؟!..

وسيم : الطائرة الورقية لا تستطيع العوم في المياه..

وردة : ما هذا إذاً؟.. لعله حوت ضخم..

وسيم : لا.. ليس حوتاً.. بل باخرة. نعم، باخرة!..

وردة : وتحمل على متنها نينا وجاك؟..

وسيم : بالتأكيـــد!.. و لكن لِمَ لم يأتيـــا على متنِ طائرة ورقية؟!..

وردة : أظن أنهما لم يتمكنا من العثور على طائرة أكبر من تلك التي تصـــنعها يا وســـيم، فاضطُّرَّا أن يركبا في الباخرة.

(مـــن بعيد ومن على مـــتن الباخرة تظهر نينا وجاك وهما يلوحان بالأيدي).

وسيم : نعـــم نينا وجاك على مـــتن الباخرة..انظري ، إنهما يلوِّحان لنا بأيديهما..

وردة : (بدورها وردة ووسيم يلوحان بالأيدي) هيه!.. نينا!.. جاك!..

وسيم : هيه!.. جاك نينا!.. نحن هنا!..

(يسمع صوت جاك نينا من بعيد).

جاك : هيه !.. وردة !.. وسيم!.. نحن هنا!..

نينا : لقد وصلنا إلى أرضكم!..

وسيم : أهلا بكما.. ها نحن نستعد لاستقبالكما..

نينا : إننا قادمان!..

وردة : أهلاً !.. أهلاً!.. يا مرحباً بكما..

(لحظات قليلة وترسو الباخرة على الشاطئ. فيلتقي الأصدقاء الأربعة، ويتعانقون).

ـــ إعتام تدريجي ـــ

المشهد الرابع

كنـدا. مدينـة فانكوفـر عنـد شاطـئ المحيط الكندي.

(سـاندرا وصـديقها تـوم، يلاعبـان خيوط طائرتيهمـا وقـد راحـت كلتـا الطائرتـين تتراقصان فوق أمواج البحر. تعبر ساندرا عن شغفها وتبادر).

ساندرا : هكذا.. هكذا يا توم، سأجعل طائرتي ترقص وتتمايل يوم الكرنفال...

توم : هـذا جميـل!.. انظري سـاندرا كيف ألاعب طائرتي.. هل ستحظى هذه الحركات بإعجاب أصدقائنا؟..

ساندرا : بالتأكيد يا توم!.. دعها تحلق عاليا أكثر..

توم : هكذا..

ساندرا : نعم.. نعم..

توم : آوه ، لعبة مثيرة..

ساندرا : توم!..

توم : ماذا يا ساندرا؟!..

ساندرا : ليت كلينا طائرتان ورقيتان!..

توم : أنا وأنت طائرتان ورقيتان؟..

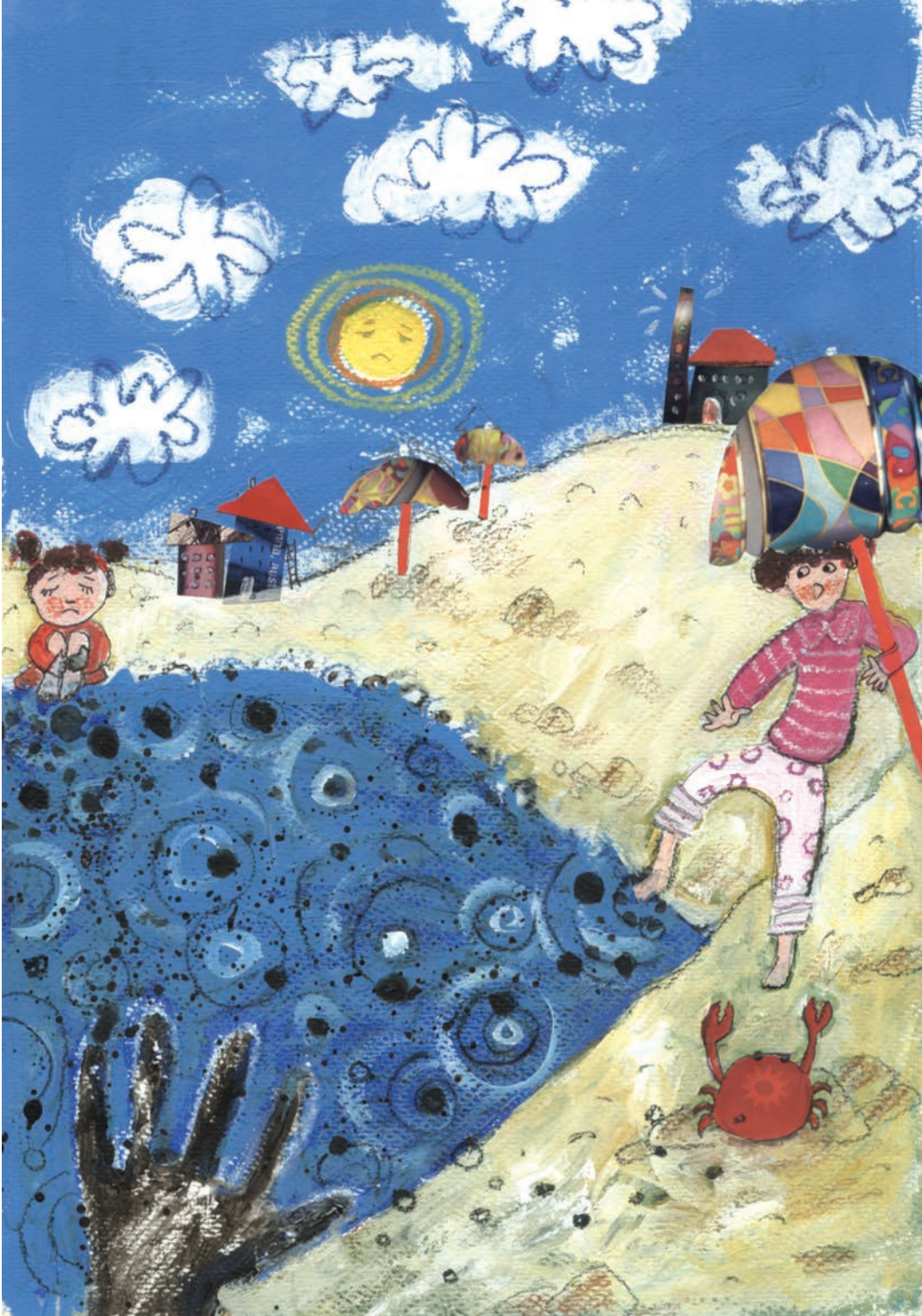

ساندرا : نحلق عالياً.. هكذا.. نطــوف على الناس في كل مكان..

توم : وماذا أيضاً..

ساندرا : ونسبق أصدقاءنا إلى فلسطين..

توم : أصدقاءنا الطائرات أم الأطفال؟..

ساندرا : أوه !.. معك حق!.. اســمع!.. ما إنْ نصــل إلى هناك، حتى تعود أنت توم، وأعود أنا ساندرا..

توم : دون طائرات ورقية؟..

ساندرا : لا، بالتأكيد سيصــنع لنا وسيم طائرتين، وإلا كيف سنشاركهم في الكرنفال؟..

توم : ترى هل بدؤوا يستعدون..

ساندرا : أتوقع أن يكون وســيم قد صــنع عــدداً كبيراً منهــا، و وردة تجرب خيوطها مطلقة إياها في الفضاء هكذا كما نفعل..

(يســحب خيوط طائرته فجأة، ويدعها تستقر على الأرض تعبيراً عن أسفه).

توم : ولكن يا ســاندرا حتى الآن لم تصلنا منهما أية طائرة..

ساندرا : أعرف يا توم!..

توم : أخشــى أن يحدث تغيــيرٌ في موعد الكرنفال، فتفوتنا فرصة المشاركة فيه..

ساندرا : لا ، مستحيل!.. نينا وجاك طمأنانا في الرسائل التي حملتهـا طائراتهما الورقية، أن الموعد لم يتغير..

توم : ومع ذلك فثمّةَ أمر غريب يا ساندرا..

ساندرا : ما هو..

توم : كيف تصـلنا طائـرات جميع الأصـدقاء، إلا طائرات وردة ووسيم؟..

ساندرا : حقاً أمر غريب.. ولكن عندما نسافر إليهما لا بد أن نعرف السبب..

توم : سـانـدرا!.. أتعلمـين مـا هـي أمنيتـي هـذه اللحظة؟..

ساندرا : ما هي..

توم : معرفة لون الطائرة التي يصنعها وسيم الآن..

ساندرا : (بقصـد الضـحك والمـزاح) الأمـر بمنتهى البساطة..

توم : بمنتهى البساطة!!.. كيف؟..

ساندرا : (تسحب خيوط طائرتها فتستقر أرضاً) اسمع توم! أليسـت مياه المحيطات والبحار متصـلة بعضها ببعض؟..

توم : نعم، هذا ما قالوه لنا في المدرسة..

ساندرا : إذا.. يمكن لنا مشاهدة الطائرة التي يصنعها وسيم إذا ما نظرنا عميقاً في مياه البحر..

توم : لا ، لا يمكــن هذا.. أتظنين أن المياه تعمل عملَ المنظار؟..

ساندرا : فلنجرب يا توم!..

توم : أأنت جادة؟!..

ساندرا : (تمســك بيده، وتدنو من المياه) لِمَ لا نجرب..؟ تعال!..انظر!. (تحني رأســها لترَنو عبر المياه، ولكــن ما إن تلامس يداها المياه، حتّى تتراجع خائفة) لا..

توم : ماذا يا ساندرا؟..

ساندرا : رائحة كريهة تنبعث من المياه..

توم : نعم ها أنا أشمها..

ساندرا : آه!.. انظر.. (تشــير إلى يديهــا) ألوانٌ قاتمة صبغت كلتا يدي..

توم : أرني.. آه!..

ساندرا : (تصرخ فزعة) توم!..أشــعر وكأن يديَّ صارتا لزجتين.. وهما تؤلماني..

توم : كيف حلَّ بك هذا؟..

ساندرا : أخشى أن يكون البحر قد رغب في معاقبتي..

توم : معاقبتك!!.. لماذا؟..

ساندرا : لأنني ادّعيْتُ أنه يمكن مشـــاهدة طائرة وسيم من خلال المياه.. ولكن أقسم: كنت أمزح!..

توم : أعرف يا ساندرا أنك تمزحين.. ولا يمكن للبحر أن يعاقب أحداً على مزحة مسلية كهذه..

ساندرا : إذاً كيـــف ســـمح لأمواجه العذبـــة، حمل هذه السموم؟!..

توم : ســـاندرا!.. سارعي إلى غســـل يديك للتخلص منها..

(تذهب ساندرا من فورِها. بينما يتطلع توم إلى مياه البحر، ويبادر تعبيراً عن حيرته ودهشته)

تـــرى من لوثَ أمواجك يـــا بحرنا؟..من الذي جعـــل زرقة مياهك داكنة علـــى هذا النحو..؟ من ؟.. من يا بحرنا؟..

(يتراجع مبتعداً عن شاطئ البحر).

- إعتام تدريجي -

الفصل الثالث

المشهد الأول

فلسطين . يافا الساحلية. ساحة القرية.

بعد مرور بضعة أيام، وقبل يوم من حلول العام الجديد.

(تبدو نوافذ البيوت والأشجار مزينة بالمصابيح والأضواء، وعدد كبير من الخيوط والطائرات الورقية تنتشر في فضاء كبير يمتد من الصالة إلى خشبة المسرح، وقد راح الأطفال الأربعة: وسيم، و وردة ، وجاك، ونينا، يربطون الخيوط في عدة أماكن تحضيراً للكرنفال الذي سيقيمونه قريباً).

وردة : ما رأيكم في تعليقها هنا؟..

نينا : مناسب تماماً.. انظروا كم بات المشهد رائعاً.. طائرات ورقية في الأمكنة جميعاً.

جاك : وهكذا فما إن يحضر أصدقاؤنا الأطفال حتى يجدوها جاهزة..

وسيم : وما عليهم سوى إطلاقها إعلاناً عن بدء الكرنفال..

نينا : وعندها تبدأ المنافسة.. مرح.. ضحك.. موسيقا.. غنـــاء.. وطائـــرات كثيرة.. فوق.. في الســـماء.. هناك.. وهناك..

وسيم : ما رأيكم أن نجري تجربة بسيطة، لنعرف كيف ستجري الأمور؟..

جاك : حالاً سنفعل...

وردة : حقاً؟!..

وسيم : هل أنتم مستعدون؟..

جاك : طبعاً!..

وسيم : إذا فلْيطلق كل واحد منا طائرته..

نينا : هيا!.. هيا!..

(يطلقون طائراتهم الورقية في أنحاء الفضاء، وهم في حالة من النشـــوة والسعادة، يصاحب ذلك صـــوت «فـــيروز» يردد أغنيـــة «طيري يا طيارة طيري» يصـــعد وســـيم إلى سطح أحد المنازل، يلاعب خيـــوط طائرته الورقية، مما جعلهـــا تنطلق على علو شـــاهق متجاوزة بقية الطائرات).

وسيم : هوب!.. إلى الأعلى.. إلى الأعلى أكثر!..

(في هذه الأثناء تظهر عصـــفورة النجاة وهي تحوم في الفضـــاء، تقدم على بعض الحركات و الإشارات تعبيراً عن قلقها وذعرها. وحدها نينا تنتبه إلى عصـــفورة النجـــاة ، فتكف عن اللعب بطائراتها، وقد اعترتها الدهشة والقلق. لحظات قليلة وتختفي العصـــفورة. تنتبه وردة إلى حال نينا).

وردة : ما بك نينا؟!..

نينا : رأيت شيئاً ما هناك!.. (تصيح) جاك!..

جاك : ماذا يا نينا؟..

نينا : توقف عن اللعب قليلاً !..

جاك : (يدنو من نينا) ماذا يا نينا؟!..

نينا : (تهمس تعبيراً عـــن ذعرها) جاك.. هل تذكر عصفورة النجاة؟..

جاك : تلك العصفورة التي جاءتنا يوم كنا على شاطئ البحر في مرسيليا؟..

نينا : أجل..

وردة : هل سبق أن التقيتما بعصفورة النجاة؟..

نينا : نعم.. فهي التي حملت لنا طائرتكما الممزقة..

وردة : وهي أيضاً التي حملت لنا طائرتكما..

جاك : المســكينة تجهد نفســها في قطع المســافات الشاسعة، كي تنقل الرسائل فيما بيننا..

نينا : كانت هنا..

جاك : متى ؟!.. أين؟!..

نينا : قبل لحظات كانت تحلق في السماء..

جاك : ليتنا رأيناها..

نينا : بدت خائفة جداً..

جاك : خائفة؟!..

نينا : أجــل.. وقد أشــارت لي إشــارات لم أفهمها.. ثم كتبت بجناحيها على صفحة السماء بعض العبارات..

وردة : كتبت بعض العبارات على صفحة السماء؟!..

نينا : نعم

وردة : أين هي العبارات..

نينا : تلاشت مع الريح..

جاك : وما العبارات؟..

نينا : عبارات..(تحاول التذكر) مثل طائرات..حقيقية.. مرتفعة..

وردة : أظنها كانت تعبر عن إعجابها بطائراتنا..

نينا : ولكن كانت خائفة ومذعورة؟..

جاك : ربما ثمة نسر يطاردها..

وردة : لن يستطيع النيل منها.. ستتحايل عليه وتنجو بسلام.. أنا واثقة من ذلك..

وسيم : (يصيح من فوق السطح) اطمئنوا، النسور لا تؤذي عصفورة جميلة كهذه!..

جاك : إذاً هيا.. هيا نعود لإطلاق طائراتنا...
(يعودون لإطلاق الطائرات، إلا أن نينا تجمد في مكانها، متطلعة إلى السماء. تلمح شيئاً ما يضاعف من رعبها وقلقها، مما يحرض ذاكرتها على استحضار الحوار الذي دار سابقاً بين ربان الباخرة ومساعده).

ص المساعد : من أحرق هذا الكمَّ من الأوراق وألقى بها في مياه البحر؟..

ص الربان : لحظة.. لحظة.. عثرت على شيء أخر..

ص المساعد : قل ما هو سيدي؟!..

ص الربان : هناك خيوط كثيرة مقطعة ، وبعضها تعرض للاحتراق..

ص المساعد : خيوط!.. أي نوع من الخيوط ؟!...

ص الربان : تشبه تماماً تلك التي يربط بها الأطفال طائراتهم الورقية..
(ينتبه جاك لشرود نينا وقلقها، فيسأل)

جاك : ما بك يا نينا؟.. لم لا تلعبين بطائرتك؟!..

نينا : أنا.. أنا خائفة يا جاك..

جاك : ممَّ؟..

نينا : انظروا.. (تشير إلى السماء).

جاك : ما هذا؟!..

نينا : إنها طائرات..

جاك : أوه.. طائرات ورقية تحلق عالياً جداً!..

نينا : أنا خائفة منها..

وسيم : لا داعي للخوف يا نينا .. أحد الأطفال أطلقها عالياً احتفالاً بقدوم العام الجديد..

نينا : لا.. فالأطفال لا يلعبون بمثل هذه الطائرات..

وردة : كيف؟.. جميع الطائرات يلعب بها الأطفال..

نينا : إلا هذه..

وسيم : إنها ورقية..

نينا : ليست ورقية..

وردة : بل هي كذلك يا نينا!.. هيا..

نينا : لكن ليس لها ألوان زاهية.. انظروا!..

وسيم : ربما علوها الشاهق، حجب ألوانها عنا..

نينا : الألوان الزاهية لا تحجب عن العيون..

وسيم : آوه يا نينا! لا داعـــي إلى الخوف.. هيا!..هيا نطلق طائراتنا لتتســـابق مع تلـــك الطائرات البعيدة!..

(يعود وســـيم ووردة وجاك للعـــب بطائراتهم الورقيـــة، إلا أن نينـــا تظل ســـاكِنةً في مكانها تتطلـــع إلى الأعلى. تبـــادر وردة وهي تلاعب خيوط طائرتها).

وردة : انظروا أين وصلت طائرتي!..

وسيم : ســـأجعل طائرتي تســـبقها!.. هيا !.. هيا إلى الأعلى!..

جاك : كم هذا رائع!.. الهواء يدفع بطائرتي بعيداً..

وسيم : دعوا طائراتكم تحلق عالياً.. أكثر.. أكثر!..

وردة : آه !.. كم أضحت طائرة وسيم مرتفعة!..

جاك : كيف تستطيع فعل ذلك يا وسيم ؟!.. كيف؟..

وسيم : حرروا خيوطها!..حرروها أكثر.. دعوها تسابق الريح!.. هيا!.. افعلوا مثلي!.. هيا ، إلى الأعلى أكثر يا طائرتي.. اســـبقي جميـــع الطائرات ، واستقبلي العام الجديد!..

(يحـــرر خيـــوط طائرته من يـــده، فتبلغ علواً شاهقاً. تبدي وردة وجاك إعجابهما، متعقبين حركة الطائرة).

وردة : لا أصدق، لا أصـــدق! .. ها هي ذي قد بلغت أبعد من المسافة التي تبلغها الطائرات التي لا لون لها!.

نينا : (بقلق ورعب) وردة!.. لا تأتي على ذكرها..

وردة : (بدهشة واستغراب) ذكر ماذا؟!..

نينا : الطائرات التي لا لون لها..

وردة : لم يا نينا؟..

نينا : لا أحب الحديث عنها..

جاك : (معلقاً على طائرة وسيم) هيه!.. كيف وصلت إلى هذا العلو؟!..

وسيم : لم أعد أمسك بخيوطها!..

جاك : لماذا حررت خيوطها من بين أصابعك ؟!..

وسيم : كي تغدو حرة في الفضاء..

جاك : ولكنك ستفقدها تماماً قبل أن يأتي أصدقاؤنا الأطفـال ونبـدأ كرنفالنـا..انظر !.. ها هي ذي تختفي!..

وسيم : لا يهـم، سأصـنـع عشـراتٍ غيرها!.. حلقي إلى الأعلـى.. إلى الأعلى أكثر!.. هيا اسـبقي الجميع واسـتقبلي العام الجديد!.. وداعاً!.. (يلوح لها بيـده).. وداعاً يا طائرتي!.. مرحباً بالعام الجديد!..

(فجأة يسمع صوت دويّ انفجار ، يعقبه صرخة خافتة من وسيم الذي يتهاوى أرضاً، يرافق ذلك ذعر بقية الأطفال، كذلك تسقط جميع الطائرات الورقية على الأرض، وشيئاً فشيئاً يعم الظلام ويحل السكون، نسمع أغنية «الليلة عيد» في الوقتِ نفسِهِ، تضاء بقعة في العمق، في الأعلى، حيث نلمح طائرة وسيم الورقية تطوف في أنحاء الفضاء تستقبل وحيدة العام الجديد وقد راحت أطراف جوانحها تحترق).

- إعتام تدريجي -

المشهد الثاني

(الباخرة تجوب البحر متجهة إلى فلسطين المشرق، زوكو، وساندرا، وتوم ، يتطلعون إلى الأفق البعيد عبر النوافذ، كذلك حال بقية الأصدقاء).

زوكو : أهذه رحلتك الأولى إلى فلسطين؟..

توم : نعم.. وأنت ؟..

زوكو : وأنا أيضاً.. **توم**: ماذا تعرف عنها؟..

توم : عمَّ ؟..

زوكو : عن الديار المقدسة..

توم : آه!.. أعرف كثيراً..

زوكو : حقاً.. كيف؟..

توم : قرأت معظم الحكايات التي تتحدث عنها وعن ناسها الطيبين..

زوكو : حكايات!.. أية حكايات؟..

توم : علي بابا والمصباح السحري.. كليلة ودمنة..

ساندرا : وحكايات تتحدث عن أشجار الزيتون والبرتقال و..

زوكو : آه!.. أنتما تعرفان كثيراً عنها..

توم : وأنت ؟..

زوكو : أعرف وردة.. نعم .. وأعرف وسيم.. وأنا ذاهب إلى هناك لمشـــاركتهما في كرنفـــال الطائرات الورقية..

توم : أتلقيتَ دعوة مباشرة منهما؟..

زوكو : لا، بل وصـــلتني الدعوة مكتوبـــة على جوانح الطائرات الورقية التي بعثها لي جاك وصديقته نينا..

ساندرا : تماما كما وصلتنا..

زوكو : لو أن طائرات وســـيم ووردة ظلت تصلني كما في الســـابق، لكنت قد تلقيت دعوتهما بشـــكل مباشر..

توم : ألم تعد تصلك منهما أية طائرة ورقية؟..

زوكو : أبـــداً.. في البداية كانـــا يبعثان لي بكثيرٍ منها، لكن فجأة اختفى أثرها..

توم : زوكو، أتعرف سبب انقطاع وصولها؟!..

زوكو : لا .. لا أعرف.. هل تعرف أنت؟..

توم : دائماً أنا وساندرا نسأل عن السبب، ولكن حتى الآن لا جواب..

ساندرا : أخبرتـــك يا توم أننا ســـنعرف بالتأكيد عندما نلتقي بهما..

زوكو : هل حقاً سنلتقي هناك بأطفال من جميع بلدان العالم كما أخبرتني نينا وجاك؟..

ساندرا : بالتأكيد.. انظر!.. فجميع ركاب هذه الباخرة متجهون إلى هناك..

زوكو : للمشاركة في الكرنفال؟!..

توم : وأيضاً لمشاهدة مسرحية الأميرة سندريلا..

زوكو : كم هذا رائع.. رائـــع ومدهش.. ترى كم تبقى من الوقت حتى نصل؟!..

توم : أظن بضع ساعات ليس أكثر..

ساندرا : انظروا !.. أرى جبالهم..

زوكو : أوه، نعم ، وأنا أراها!..

ساندرا : ما أجملها..

توم : انظروا هناك، حيث تتمايل أشجار حقولهم..

ساندرا : تشبه أشجار حقولنا..

توم : وكذلك سفوح جبالهم.. كسفوح جبالنا..

زوكو : والقمر الذي يضـــيء سماء بلادنا يشبه القمر الذي يضيء السماء هنا..

ساندرا : بل مشهد السماء بات أجمل، أتعلمون لم ؟..

زوكو : لم ؟!..

ساندرا : لأن الشمس تشرق من هنا..

زوكو : ألهذا سمّوْه درة الشرق؟..

ساندرا : نعم.. فالشـــمس تشرق هنا على الدنيا كلها!.. هل تصدقون؟..

توم : ماذا؟..

ساندرا : كلمـــا تقدمت بنا الباخرة أكثر، اشـــتد خفقان قلبي..

زوكو : إلى هـــذا الحدّ أنت متشـــوقة للمشـــاركة في الكرنفال؟..

ساندرا : نعم!..

توم : إذاً تعالَـــوْا نغـــفُ قليلاً كي نقصر مســـافات الوصول إلى الشرق..

زوكو : اقتراح معقول.. هيا!..

(يبتعـــدون عن النوافذ، تضـــاء قمـــرة الربان ومساعده).

المساعد : سيدي!.. سيدي!..

الربان : ماذا هناك؟..

المساعد : مشكلة !.. مشكلة!..

الربان : أية مشكلة؟!..

المساعد : بقايا الأوراق المحترقة تطفو على ســـطح المياه في هذه المنطقة بكثرة..

الربان : دعني أرى.. آوه!.. وثمة خيوط كثيرة مقطعة!..

المساعد : إذاً هي حقاً طائرات ورقية؟!..

الربان : والغريـــب! حديث هؤلاء الأطفال قبل لحظات عن كرنفال الطائرات الورقية..

المساعد : سمعته يا سيدي الربان!.. يبدو أن هناك لغزاً..

الربان : بالتأكيد ثمة لغز ، فها نحن ننقل مرةً ثانيةً عبر باخرتنـــا أطفالاً يريدون المشـــاركة في كرنفال الطائرات الورقية..

المساعد : وها هي ذي الطائـــرات الورقية تعوم محترقة فوق سطح المياه من جديد..

الربان : لا شك أن أحدهم يحاول جاهداً منع الأطفال من إحياء كرنفالهم ..

المساعد : لا أتصوّرُ أنّ ثمّة إنسانٌ على وجه الأرض يقدم على محاولة كهذه..

الربان : بل هناك من يحاول.. وهذا هو الدليل (يشـــير إلى سطح البحر).

المساعد : بالتأكيد هو ليس بإنسان سوي..

الربان : بل قل هو وحش حقيقي..أرجوك تابع المســـير كي يصل هؤلاء الأطفال بأمان..

المساعد : سأفعل سيدي!..

الربان : وحاول ألا تسلط أضواء الباخرة على سطح المياه كيلا يرى الأطفال كيف أضحى مصير طائراتهم الورقية..

المساعد : لماذا؟!..

الربان : أكثر ما يحزن الأطفال، رؤية طائراتهم محترقة ومقطعة الأشلاء..

المساعد : معكم حق!..

(فجأة يسمع صوت رنين جهاز اللاسلكي الذي بحوزة الربان، يسارع ويتحدث عبره).

الربان : حول !.. معكم ربان الباخرة..

ص عبر الجهاز : أيها الربان.. عليكم إيقاف هذه الرحلة مباشرة، والعودة إلى الجهة التي انطلقتم منها..

الربان : أتعني إلغاء الرحلة؟!..

ص عبر الجهاز : نعم.. نعم..

الربان : لم ؟ !.. ما الذي حدث ؟..

ص عبر الجهاز : ثمة طائرات تقصف المنطقة التي تتوجهون إليها..

الربان : ماذا؟.. طائرات ورقية تقصف..

ص عبر الجهاز : ليست ورقية.. بل هي طائرات حقيقية!..

الربان : يا للهول.. حول.. سأغير اتجاه الباخرة فوراً..
(يتحدث إلى المساعد) أيها المساعد ثمة تعليمات توصي بالتراجع عن هذه الرحلة..

المساعد : علمت سيدي الربان، وها أنا أغير اتجاه الباخرة..
(في هذه الأثناء يسمع هرج ومرج داخل الباخرة مصدره الأطفال. يخرج زوكو وساندرا وتوم وقد بَدَوْا في قمة الدهشة والحيرة).

زوكو : لما غيرتم جهة الباخرة أيها الربان؟!..

الربان : معذرة منكم أيها الأطفال ، نحن مضطرون إلى ذلك..

ساندرا : أنتم مضطرون؟!..

الربان : نعم ، فالمنطقة التي نتوجه إليها تتعرض لقصف من الطائرات..

توم : ماذا يعني أن تتعرض لقصف من الطائرات؟..

الربان : يعني أن هناك خطراً على حياتكم..

ساندرا : لا يمكن للطائرات أن تشكل خطراً على حياة أي منا..

المساعد : بل يمكنها..

زوكو : مستحيل ، فهي لا ترمي على الأرض سوى باقات من الزهور..

ساندرا : وأحيانـــا نحملها قطعاً مـــن الحلوى ونتركها تســـقط في مكان ما..

المساعد : لكن تلك الطائرات لا تلقي بالزهور ولا بقطع من الحلوى..

توم : ماذا تلقي على الأرض إذاً؟.. مناديل معطرة؟.

الربان : لا!.. إنها تلقي بأشـــياء تشـــكل خطـــراً على حياتكم..

زوكو : أشياء تشكل خطراً على حياتنا؟!..

الربان : نعم..

ساندرا : مثل ماذا؟!!..

الربان : مثل.. (يتراجع مذعوراً) لا أعرف!..هيا .. هيا أيها المساعد تحرك وغير اتجاه الباخرة..

المساعد : حاضر سيدي..

زوكو : وأصدقاؤنا؟!..

ساندرا : نينا.. وردة .. جاك .. وسيم..

الربان : فلْتَحفظْهُمُ السماء..

توم : ماذا يعني هذا؟!.. ألن نشاركهم حفل كرنفال الطائرات الورقية..

الربان : أيُّ كرنفال هذا ومنطقتهم تتعرض للقصف؟!..

زوكو : نريد أن نطمئن على أصـــدقائنا.. هيا عودوا ووجِّهوا الباخرة ناحية شاطئهم !..

الربان : لا نستطيع .. فهناك تعليمات تمنع ذلك..

ساندرا : إذا لم تستجيبوا لمطالبنا، سنقفز في المياه ونسبح حتى نصل إليهم..

الربان : لا يا أطفالي.. ستعرضون أرواحكم للخطر..

توم : ونترك أرواح أصدقائنا تتعرض للخطر؟!..

الربان : أعدكم إذا هدأت الأحوال، أن نقوم برحلة ثانية للاطمئنان عليهم..

زوكو : متى؟..

الربان : لا أدري.. ربما بعد شهر.. شهرينِ .. أو ربما عام..

(الباخرة تبتعد شيئاً فشيئاً، نسمع أثناء ذلك أصوات الأطفال من داخل الباخرة وهم يصيحون).

وردة!.. جاك!.. نينا!.. وسيم!..

- إعتام تدريجي -

المشهد الثالث

فلسطين. يافا الساحلية. بعد مرور عام كامل.

الوقت: قبل يوم من حلول العام الجديد.

(يسمع بين حين وآخر، صوت بوق باخرة آت من الجهة البعيدة للبحر. ثمة طائرات ورقية تنتشر في فضاء الخشبة. يصاحبها صوت «فيروز» يردد أغنية «طيري يا طيارة» تظهر الطفلة وردة بصحبة الطفلة نينا).

وردة : اشتقت لكما كثيرا يا نينا..

نينا : شوقنا إليك أكبر.. أترين ..؟ ها نحن قد وفينا بوعدنا وعدنا إليك مرة ثانية..

وردة : مضى على ذلك عام كامل؟..

نينا : نعم عام كامل..

وردة : وها أنا أراكما من جديد..

نينا : أقسم لك! ما إن يمر وقت قصير، حتى تَرَيْ أطفالاً كثيرين جاؤوا إليك من كل بلدان العالم..

وردة : أطفالاً من كل بلدان العالم ؟ !..

نينا : نعم..

وردة : أجاؤوا يحتفلون معنا بحلول العام الجديد؟..

نينا : ويشاركوننا بإحياء الكرنفال..

وردة : لا أصدق ما أسمع!.. إذاً فأنت وجاك ساعدتموني في صنع الطائرات الورقية لهذا السبب؟!

نينا : نعم..

وردة : آه!.. ولكن أين ذهب جاك؟!..

(في هذه الأثناء يصبح صوت بوق الباخرة قريباً جداً).

نينا : وردة!..اسمعي!.. وصلت الباخرة.

وردة : أية باخرة؟!..

نينا : الباخرة التي تحمل على متنها أصدقاءنا الأطفال..

(يدخل جاك وهو يداعب خيوط طائراته الورقية وقد بدا في أوج فرحته).

جاك : نينا!.. وردة!.. ها قد وصلوا..

نينا : ألم أقل لك..

وردة : يا لها من مفاجأة غير متوقعة!.. (تقفز فرحة، ثم تصعد إلى سطح بيت وسيم الذي تحول إلى ركام، تلاعب خيوط طائرتها الورقية ،

وتتطلع ناحية مصـــدر صـــوت الأطفال، حيث بدأ يســـمع لغطهم ومرحهم و هم يترجلون من على الباخرة. تضاء الصالة فنرى ساندرا وتوم وزوكو قد أصبحوا بين الأطفال).

نينا : وردة، انظري هناك! أصبحوا بيننا..

وردة : نعم !.. رأيتهم..

جاك : أهلا بكم يا أصدقاءنا!..

وردة : هل يعرفونه؟..

جاك : لمن؟!..

وردة : لصديقنا وسيم!..

جاك : بالتأكيد يعرفونه!..

وردة : كيف؟..

نينا : قرؤوا عن حكايته في الكتب والصحف..

جاك : ونحن أيضا بعثنا لهم رسائل تتحدث عن طفل بارع في صناعة الطائرات الورقية..

وردة : أتذكره جيداً يا جاك؟..

جاك : بالتأكيد..

وردة : وأنت يا نينا؟..

نينا : سنةً كاملةً لم يغب عني لحظة واحدة..

جاك : عندمـــا أتيـــت لزيارتكـــم في المـــرة الســـابقة استضافني في بيته عدة أيام!..

وردة : لم يعد بيتاً!..

(يصعد جاك فوق الركام ويبادر بحماسة).

جاك : كان يصنع طائرات ورقية. نحملها ونصعد بها إلى السطح.. أو نطلقها في الساحة..

وردة : لم يعد للبيت ساحة، ولا سطح!..

ساندرا : (من وسط الصالة) هو من جعلنا نحب اللعب بالطائرات الورقية..

توم : (أيضاً من الصالة) كان يرسم عليها خطوطاً جميلة..

زوكو : (من الصالة) ويكتب عليها عبارات رقيقة..

ساندرا : أذكرها جيداً: أحب اللعب!..

زوكو : أحب المرح!..

توم : أحب الضحك!..

ساندرا : أحب الحياة، وضوء النهار!.

زوكو : أحب أن أعيش كما الطيور، حراً في الأرض، وفي السماء..

وردة : كان يرسل الطائرات الورقية إلى جميع أصدقائه في أنحاء العالم..

زوكو : وصلني كثيرٌ منها..

ساندرا : وأنا وتوم أيضاً..

توم : ونحن وجميع الأصـــدقاء أرسلنا لكما طائرات كثيرة..

وردة : نعم..

زوكو : ولكن فجأة لم تعد طائراتكم تصل إلينا..

وردة : ولا طائراتنا تصل إليكما..

نينا : لولا عصـــفورة النجاة لما وصلتنا بعد ذلك أية طائرة..

جاك : رغم أنه كان ماهراً في صنعها..

ساندرا : وفي ربط حبالها..

زوكو : وفي الرسم على جناحيها..

نينا : هنـــاك لغـــز كـــان يحـــول دون وصـــول طائراته إلينا..

زوكو : لغز!!..

توم : ما هو؟!..

ساندرا : نريد معرفته!.. (تتلاشـــى الإضاءة عن الصالة بالتدريج).

وردة : كنا يومها نجرب الطائرات التي صنعها وسيم.. استعداداً لاستقبال العام الجديد.. تصوروا!.. تخلـى عـن طائرتـــه الملونـة وأهداهـا للعام الجديد.

نينا : لكنه لم يعش بعدها!..

جاك : تلــك الطائرات التي لا لون لها ســبقت حلول العام الجديد، و انتزعت منه الحياة..

نينا : (تصرخ هلعة) لا أحب الحديث عنها!..

وردة : (كذلك تصرخ بدورها) ولا أنا!..

جاك : وهكذا لم يكتمل كرنفال الطائرات الورقية..

وردة : تلــك الطائرات.. المقيتة.. الكريهة حالت دون ذلك..

نينا : هل انحلت عقدة اللغز؟..

(فجـأة تسمع أصوات أطفـال تنبعث من جهة العمق)

ص أطفال : أي لغز؟!..
أية طائرات هذه؟!..
جميع الطائرات ورقية، ألوانها جميلة، تحرك خيوطها أصابع ناعمة..
وهي لا تجلب الموت لأحد؟..

وردة : كان يظــن ذلك، و نحن أيضــاً، لكــن يوم كنا نستعد لاستقبال العام الجديد عرفت أن هناك طائرات أخرى، مصــنوعة من حديد، ألوانها شاحبة.. تحركها أصابع قاسية، باردة.. تجلب الموت، و الدمار..

نينا : (تصرخ) قلت : لا أحب الحديث عنها!..

جاك : ولا أنا!..

ص أطفال : أي طائرات هذه التي تجلب الموت!؟..
أي طائرات هذه التي تجلب الدمار!؟..
لا، لا، جميع الطائرات ورقية.. ألوانها زاهية..
تلاعب خيوطها أصابع رقيقة..
فكيف حدث هذا؟! ..
أين؟!.. متى؟!..

وردة : منذ سنة.. أو ربما يوم.. أو ساعة!.. هنا.. هناك..

ص أطفال : لا ، مستحيل!.. لا نصدق هذا!..

جاك : بل حدث!..

نينا : نعم !.. هنا .. هناك!.. ربما منذ سنين.. أشهر.. أيام..

وردة : (تصيح) جاك!.. نينا!..

جاك : ماذا يا وردة؟..

وردة : استعدا حالاً !..

جاك : نستعد لماذا؟..

وردة : سنعيد تمثيل أحداث ذاك اليوم..

نينا : أي يوم؟..

وردة : يوم عيد رأس السنة الماضية..

نينا : تقصدين يوم أطلق وسيم طائرته؟.. ثم.. (تصمت تعبيراً عن خوفها).

وردة : نعم.

جاك : وكيف سنمثل هذا؟..

وردة : كما كنا نمثل معه مسرحية سندريلا والأمير.. وغيرها من الحكايات..

نينا : تلك كانت حكايات جميلة، ولها نهايات مفرحة!.. أما حكاية وسيم فهي.. (صمت من جديد).

جاك : ثم.. ثم لماذا علينا أن نعيد تمثيلها ؟..

وردة : كيلا ننسى ما حدث، وليرى الذين لا يصدقون الحقيقة بأعينهم..

نينا : لن يصدقوا الحكاية..

وردة : لماذا!؟..

نينا : نحن الآن ثلاثة .. بينما كان وسيم معنا في السنة الماضية..

جاك : هذا صحيح.. وسيم لم يعد بيننا.. فكيف نمثل تلك الحكاية من دونه؟..

وردة : سنحاول إعادته إلينا كما كنا معاً في السابق!..

جاك : (ذاهلاً) ماذا؟!.. نعيده إلينا!..

نينا : (ذاهلة أيضاً) كيف؟..

وردة : عن طريق التخيل، والتذكر..

جاك : وما نفع التخيل، والتذكر؟!.. ..

وردة : تعالوا نتخيل وكأنه بيننا، ولم يمت..

جاك : آه !.. أجل يمكن تخيل ذلك ..

وردة : لنتذكر جميع التفاصيل، ملامح وجهه، طريقته في الكلام، مرحه، حبه للعب..

نينا : وماذا بعد ذلك؟!..

وردة : إذا أحسنا التخيل والتذكر، يمكننا تمثيل الحكاية!..

جاك : ولكن كيف سنمثل الحكاية، ونحن لا نملك مسرحاً..

وردة : سنحول ساحتنا هذه إلى مسرح، كما كنا نفعل يوم كان وسيم بيننا..

جاك : ولكن الساحة تبدلت كثيراً، ولم يكن فيها هذا الركام ، والحطام..

وردة : لنتخيل وكأنه لم يمسسها أذى!..

جاك : نتخيل؟!..

وردة : نعم، نتخيل، ونتذكر..لنتذكر كيف كان بيت وسيم قبل أن يلحق به الدمار!..

(يرافق الحوارات التاليـــة، تغييرات تدريجية، وبطيئة في الإضاءة، وكذلك في أساس الديكور)

نينا : أذكر جيداً كيف كان!..

وردة : أتذكر يا جاك، ما كان يرتدي من ثياب في ذاك اليوم؟!..

جاك : نعم، ثياباً جديدة زاهية!..

نينا : أراد أن يستقبل بها العام الجديد..

وردة : ألوانها؟..

جاك : أذكرها.

وردة : تسريحة شعره؟..

نينا : أذكر..

وردة : وماذا فعل صباح ذاك اليوم؟..

جاك : خرج إلى الساحة ..

نينا : **و صاح:** جاك!.. جاك!..

وردة : **ثم صاح:** وردة!.. نينا!.. يا نينا!..

جاك : كان يحمـــل آلة تســـجيل تنبعث منهـــا أغنية جميلة!..

نينا : أذكرها، أغنية عذبة..

وردة : لنتذكر هذه التفاصـــيل !. جميع التفاصـــيل، وجهـــه، مرحـه. طائرتـــه الورقيـة، ألوانها، خيوطها، الأغنية، ألحانها..

(تبدأ نينا بالغناء «طلعت يا محلا نورها شمس الشموســة» يتداخل صــوتها مــع كلام وردة) لنتذكر تلك الحوارات التي دارت بيننا، لنتذكر!، ثم نتخيل، وكأن وســيم معنا.. هنا.. في ساحة القرية!.. قرب بيته الجميل.. الدافئ.

- إعتام تدريجي -

المشهد الرابع

يافا. ساحة القرية قبل أن يمسّها الأذى.

صباح باكر، قبل سنة من الآن.

(تتلاشى عتمة الليل، ويسطع ضوء النهار، مع صيحات الديك الأولى. يسمع صوت «فيروز» «طلعت يا محلا نورها شمس الشموسة» وشيئاً فشيئاً، تضاء ساحة القرية بالكامل. لحظات ويظهر وسيم خارجاً من بيته، حاملاً سلة مليئة بأقلام التلوين، كذلك يحمل آلة تسجيل، فنفهم أن صوت الأغنية ينبعث منها، يبدو وسيم في أوج السعادة والسرور، وقد راح يتمايل على أنغام الأغنية. يتطلع متأملاً نوافذ البيوت، ثم يصيح).

وسيم : جاك!.. جاك!.. (تفتح النافذة ويطل منها جاك).

جاك : صباح الخير يا وسيم!..

وسيم : صباح النور.. هيا جاك!.. وردة!.. وردة!.. نينا.. يا نينا!..

وردة : (تفتح نافذة أحد البيــوت وتطل منها، كذلك تفعل نينا) ماذا هناك يا وسيم؟!..

وسيم : ها قد طلع الصباح!..

نينا : وماذا في ذلك !..

وسيم : ألم نتفق ليلة أمس على تزيين الساحة، وإجراء بعض التدريبات على المسرحية، ثم نبدأ بعدها بإطلاق طائراتنا الورقية؟.

نينا : بلى، ولكن ليس في هذا الوقت الباكر؟!..

وسيم : نينــا علينــا تهيئــة كل شــيء، فقريبــاً يصل أصدقاؤنا..

جاك : وســيم على حق، أم نســيتم أن غــداً هو عيد السنة الجديدة..

نينا : ألهذا ترتدي ثياباً جميلة يا وسيم؟..

وردة : أوه !.. من أين جلبتها؟!..

وسيم : اشترتها لي أمي بالأمس!..

نينا : بمناسبة حلول العام الجديد؟..

وسيم : نعم..

وردة : ما أشد حبك للأعوام الجديدة!..

وسيم : وهل ثَمَّ أجمل من أن نجدد ثيابنا وألوان حياتنا مع إطلالة كل عام جديد؟..

جاك : لا، لا شيء أجمل من ذلك..

وسيم : إذاً هيا تعالوا إلى الساحة..

نينا : حالاً!..

وسيم : جاك، لا تنس أن تحضر معك حبال الزينة!..

وردة : وأنا سأحضر قطع الورق!..

نينا : ولا تنسَوْا أقلام التلوين..

وسيم : اطمئني!.. جلبتها معي.. انظري ها هي!..

نينا : آه!..إذاً سنصنع طائرات كثيرة ونعلقها في كل مكان..

وسيم : ونزين بها وجه السماء استعداداً لاستقبال العام الجديد، وترحيباً بقدوم أصدقائنا الأطفال..

(يسارعون بالنزول إلى الساحة، ويبدؤون في تزيينها، وهم في أوج فرحهم وسرورهم. أثناء ذلك نسمع حواراً يدور بين جنرال عسكري، وأحد الجنود، آتياً من العمق).

ص الجنرال : ماذا يحدث هناك؟!..

ص الجندي : لا شيء سيدي الجنرال.. مجرد أطفال يلعبون!.

ص الجنرال : لا أحب سماع أصواتهم..

ص الجندي : ولا أنا يا سيدي!..

ص الجنرال : الغريب في الأمر أنهم يضحكون، ويمرحون رغم كل ما فعلنا بهم؟!.. (يصرخ) فكيف يحدث هذا؟!!..

ص الجندي : يبدو أنهم لا يبالون بالخوف، ولا بالجوع، ولا ..

ص الجنرال : (مقاطعاً) صادروا منهم اللعب، والضحك ..لا أريد سماع أصواتهم.. هيا، هيا!.. نفذوا!

ص الجندي : قولوا لنا كيف، وسننفذ أوامركم سيدي؟..

ص الجنرال : حالاً سأعقد اجتماعاً مع جنرالات العسكر وسنبحث في أمر هؤلاء الأطفال!.. أما أنت فراقبهم جيداً!..

ص الجندي : حاضر سيدي!..

(في هذه الأثناء يكون الأطفال قد انتهوا من تزيين الساحة، وتهيئة الطائرات الورقية، وراحوا يستعدون لبدء التدريب على مسرحية سندريلا وارتداء الأقنعة ليجسد كل منهما دوره).

جاك : (يلعب دور والد الأمير) استعد يا بني الغالي.. ها قد وصلت الأميرة سندريلا، وصار موكبها أمام القصر..

فليعزِف الموسـيقيون ألحان الفرح !.. (يسمع صوت عزف الآلات الموسيقية).

وسيم : (يلعب دور الأمير) كم أنا في شـوق لرؤيتها يا والدي..

(تدخل نينا التي تلعب دور صـديقة سندريلا، وقد بدت محرجة).

جاك : هـا هـي ذي صـديقـة الأميـر سندريـلا قد وصلت!.. أين الأميرة يا بنيتي؟..

نينا : الأميرة سندريلا ترفض دخول القصر!...

جاك : ترفض دخول القصر!.. لا، لا ، أرجوك! دعيها تدخل حالاً!..

نينا : هي مصرة على موقفها!..

(يخرج جاك عن دوره نازعاً القناع عن وجهه. يقهقه ضاحكاً، ويبادر).

جاك : ماذا تقولين يا نينا.. نحن لم نتفق على هذا!.. قولي لها أن تدخل كي نتابع بروفاتنا..

نينا : (كذلك تخرج عن دورها نازعة قناعها) صدقني يـا جاك لا تريـد الدخول ، وترفضـ متابعة البروفات..

وسيم : (وقد خرج أيضاً عن دوره نازعاً قناعه) لم؟!..

نينا : حســب رأيها: إنه لا يمكن للأميرة ســندريلا أن تدخل قصر الأمير إلا إذا كانت تضــع على رأسها إكليلاً من الزهور!..

جاك : ماذا؟!.. إكليلاً من الزهور!..

نينا : ولهذا السبب ترفض الدخول..

جاك : ولكننــا نجري بروفات ، ولا حاجة بنا إلى مثل هذا الإكليل!..

نينا : أخبرتها ذلك، لكنها مصرة!..

(تدخل وردة، وقد بدت جد حزينة. تبادر على الفور).

وردة : نعم، فأنا لن ألعب دور ســندريلا، إذا لم أضــع أكليلاً من الزهور على رأسي!.

وسيم : ولكن ليس لدينا الآن إكليل زهور!..

وردة : ألست أنت من يلعب دور الأمير؟..

وسيم : نعم أنا!..

وردة : إذاً، فــإن كنــت تحب الأميرة ســندريلا حقاً، فعليك أن تجلب لها الإكليل!..

جاك : لا داعيَ لذلك يا وردة..

وردة : كيف سيصــدق الأطفــال عندمــا يحضرون لمشاهدة مسرحيتنا، أنني الأميرة سندريلا دون وضع إكليل زهور على رأسي؟!..

وسيم : وردة معهـا حق!.. طالمـا أننا صـنعنا قناعا لوالد الأمير، وآخر للأمير، وقناعا لصـديقة سـندريلا، فعلينا أن نصنع أيضـاً إكليلاً من الزهور لسندريلا!..

جاك : ولكن كيف سنعثر على الزهور الآن؟..

وسيم : أعرف حقلاً قريباً، وهو مليءٌ بالزهور.. دقائق وسأعود..

(يخـرج على الفـور. تعتري نينـا وجاك نوبة من الضـحك، بينما وردة تترقب بشغف ولهفة عودة وسـيم، ومعه إكليل الزهـور. أثناء ذلك يعود فيسمع صوت أطفال، ممزوجاً مع صوت تدفق المياه، من الجهة نفسها التي انبعث منها حوار الجندي والجنرال العسكري) .

ص أطفال : كم أضحت بحيراتنا مليئة بالمياه.
ونبتت الزهور، والورود على ضفافها..
ما أجمل المياه..
والزهور..
واللعب حول ضفة النهر..
وجمع باقات الزهور.
من أين جاءت كل هذه المياه؟..

آباؤنا وضعوا كثيرا من السدود، لجمعها هنا..
ومن أين جاؤوا بها؟!..
(تتلاشـــى الأصوات، مع عودة وسيم وقد بدت يـــداه خاليتين من الزهور. يبـــادر جاك مبدياً استغرابه).

جاك : لماذا لم تحضر الزهور؟..

وسيم : لم أعثر عليها!..

نينا : ألم تقل إنك تعرف حقلاً مليئاً بها؟!..

وسيم : لم يعد هناك حقل..

وردة : كيف؟..

وسيم : نال منه الجفاف!..

نينا : لم أفهم..

وسيم : كانـــت تتدفق حوله مياه عذبـــة، ولكنها جفت فجأة، فذبلت الأشجار وماتت الزهور..

جاك : أين اختفت تلك المياه؟!..

وسيم : سرقت..

وردة : من سرقها؟..

وسيم : لا أعرف..

وردة : أشعر وكأن أحداً ما يحاصرنا هنا، و يسرق منا كل أشيائنا الجميلة!..

نينا : وربما يحرق طائراتنا الورقية..

وردة : ماذا قلت يا نينا؟!..

نينا : (برعب) لا شيء..

جاك : أحدهم يريد كل الحياة له، ولا يريدها لغيره..

وردة : ترى من يكون؟!..

وسيم : ليكن من يكن!.لنـــا الحق في عيش الحياة، في لعبها، هوائهـــا، مائها، وما من أحد قادر على أن يسرق مرحنا و لعبنا.

وردة : (وقد دب بها الحماس) وسيم!..

وسيم : ماذا يا وردة؟..

وردة : سألعب دور سندريلا، سأصبح سندريلا حقيقية دون إكليل زهور.. هيا!..

وسيم : لا يا وردة!.. لن تلعبيه دون إكليل!..

نينا : ماذا ستفعل يا وسيم؟!..

وسيم : سأصنع لوردة إكليلا من الزهور!..

وردة : كيف؟.. و لم يعد هناك زهور..

وسيم : سأرسم ألف زهرة، وألف فراشة، وسأصنع لك منها إكليلاً جميلاً.

وردة : أعدكم بلعب دور ســـندريلا، على نحوٍ لم يلعبه أحد من قبل ..

جاك : ما أروع حماسك، وإصرارك..

نينا : وأنا سأساعدك يا وسيم في رسم الزهرات..

جاك : وأنا أساعدك في رسم الفراشات..

وردة : سأحضر الألوان..

وسيم : سأحضر الأوراق..

نينا : سأحضر الخيوط..

جاك : هيا نسرع! ونعُدّ لمتابعة مسرحيتنا!..

(يجلبون الخيوط والأوراق، والألوان ويصنعون الإكليل. تسارع وردة وتضعه على رأسها، وعلى الفور يعودون ليستأنفوا لعبتهم المسرحية).

وسيم : كم تبدين جميلة يا سندريلا!..

وردة : الفضـــل يعود إلى إكليل الزهور الذي أهديتني إياه يا أميري!..

جاك : لنحتفل بمجـــيء الأميرة ســـندريلا إلى قصر الأمير!..

وسيم : (وقد خرج عن دوره) لحظة!.. لحظة!..

نينا : ماذا هناك يا وسيم؟!..

وسيم : مـــا رأيكم أن نبـــدأ في هذه اللحظـــة بإعلان كرنفال الطائرات الورقية؟..

وردة : آوه.. فكرة رائعة!..

جاك : أجل، رائعة، ومناسبة تماماً..

نينا : إذاً هيا نُعِدُّ الطائرات الورقية!..

(ينهمك الأطفال في تهيئة الطائرات الورقية، وتسمع ألحان موسيقا مرحة إعلاناً عن بدء تحضير الكرنفال. فجأة يسمع صوت الجندي مبدياً دهشته واستغرابه، فيصيح فزعاً).

ص الجندي: سيدي!.. سيدي الجنرال!..

ص الجنرال: ما بك؟!.. لم الصراخ ؟.. ألا تعرف أننا في اجتماع عسكري..

ص الجندي: أعرف يا سيدي!.. ولكن حدث أمر خطير.. وعليكم مناقشته في اجتماعكم!..

ص الجنرال: قل ما هو؟..

ص الجندي: ألم تصدروا أوامر عسكرية، تمنعون بموجبها نمو الزهور على أرض الغير؟..

ص الجنرال: نعم، ولهذا استأثرنا لأنفسنا بكل المياه!..

ص الجندي: ولكن يا سيدي هؤلاء الأطفال صنعوا أكليلاً من الزهور..

ص الجنرال: ماذا تقول؟!.. من أين أتوا بها؟!..

ص الجندي: رسموها على الأوراق، وصنعوا منها إكليلاً جميلاً!..

ص الجنرال: اللعنة على هؤلاء الأطفال!.. سنبحث في أمر رسمهم للزهور، وصنعهم للأكاليل!.. تابع مراقبتك لهم!..

ص الجندي: حاضر يا سيدي!..

(يتلاشى صوت الجندي والجنرال ، بينما الأطفال بدؤوا يلاعبون خيوط طائراتهم الورقية، ويطلقونها نحو الفضاء. كما يسمع صوت فيروز يردد«طيري يا طيارة طيري». يعود صوت الجندي من جديد، وقد تضاعف قلقه).

ص الجندي: ما هذا؟!!.. (يصح) سيدي!.. سيدي الجنرال!.

ص الجنرال: أسمعك .. أسمعك.. ألا تعرف أننا مازلنا نعقد اجتماعاً عسكرياً ؟..

ص الجندي: بلى يا سيدي!.. ولكن حدثت تطورات بالغة الخطورة!..

ص الجنرال: ماذا حدث؟!..

ص الجندي: سيدي؛ ألم تصدروا أوامر عسكرية تمنعون بموجبها جميع الطائرات من التحليق في السماء، إلا طائراتنا؟..

ص الجنرال: نعم فعلنا ذلك!..

ص الجندي: حتى لو كانت من ورق؟..

ص الجنرال: حتى لو كانت من ورق!..

ص الجندي: ولكـــن يـــا ســـيـــدي ، هنـــاك طائـــرات تحلـق في السماء!..

ص الجنرال: يـــا غبي.. هذه طائراتنا.. نحن أرســلناها في مهمة استطلاعية بشأن أكاليل الزهور..

ص الجندي: عـــذراً ســـيدي!.. أنا أعـــرف طائراتنا جيداً، فهي مصـــنوعة من مواد صلبة، وها أنا أراها بوضـــوح، ولكن هناك طائـــرات غريبة تحوم حولها في السماء!..

ص الجنرال: طائرات غريبة تحومُ حول طائراتنا؟!..

ص الجندي: وتكاد تحاصرها!..

ص الجنرال: مـــاذا ؟.. تحاصرها!.. لمن هذه الطائرات أيها الجندي؟!.. من صنعها؟!..

ص الجندي: هم !.. هم يا سيدي!..

ص الجنرال: اللعنة عليهم!.. أعطني مواصفاتها!.. بسرعة!..

ص الجندي: هـــن.. هن طائرات أربع!.. بـــل ربما خمس.. أو ســـت.. أو ســـبع.. بل ربما مئة .. أو ألف.. لها ألوان مضـــيئة.. وأجنحتها تشـــبه أجنحة الفراشات، أو العصافير..

ص الجنرال: تشبه أجنحة الفراشات والعصافير؟!..

ص الجندي: أجل سيدي!

ص الجنرال: سبق أن دمرنا جميع الطائرات التي تتمتع بهذه المواصفات..

ص الجندي: أجل، ولكن ها هي ذي قد عادت تحلق في السماء من جديد..

ص الجنرال: راقب تحركاتها جيداً !..

الجندي : حاضر!..

(في هذه الأثناء يصعد وسيم إلى السطح، وهو مستمر في ملاعبة خيوط طائرته، مما جعل علوها يتجاوز بقية الطائرات.فجأة تظهر عصفورة النجاة في الفضاء. تأتي ببعض الحركات والإشارات، ثم تختفي. وحدها نينا من يتنبه إلى ذلك، فتبدي قلقها، وخوفها، تحدق نحو الأعلى فتلمح شيئاً ما يضاعف من رعبها، وتكف عن اللعب بخيوط طائرتها. ينتبه جاك لحالة نينا ويبادر).

جاك : ما بك يا نينا؟.. لم لا تلعبين بطائرتك!..

نينا : أنا.. أنا خائفة يا جاك..

جاك : ممَّ أنت خائفة؟..

نينا : انظروا.. (تشير إلى السماء).

جاك : ما هذا..

نينا : طائرات..

جاك : أوه.. طائرات ورقية تحلق عالياً جداً!..

نينا : أنا خائفة منها..

وسيم : لا داعي للخوف.. أحد الأطفال أطلقها احتفالاً بقدوم العام الجديد..

نينا : لا.. فالأطفال لا يلعبون بمثل هذه الطائرات..

وردة : كيف؟.. جميع الطائرات يلعب بها الأطفال..

نينا : إلا هذه..

وسيم : إنها ورقية..

نينا : ليست ورقية..

وردة : بل هي كذلك يا نينا!..

وسيم : هيا.. حلقي إلى الأعلى يا طائرتي!، إلى الأعلى أكثر! واسبقي جميع الطائرات، لاستقبال العام الجديد! .. وداعاً!..

(يلوح لها بيده).. وداعاً!..

(فجأة يسمع صوت دوي انفجار ، يعقبه صرخة قصيرة من وسيم الذي يتهاوى أرضاً، يرافق ذلك ذعر بقية الأطفال، ثم يطبق الظلام على أنحاء المكان ، ويحل السكون، لحظات نسمع بعدها أغنية «الليلة عيد» في اللحظة نفسها، تضاء

بقعـــة في العمق، في الأعلى حيث نلمح الطائرة الورقية تطوف في أنحاء الفضاء تستقبل وحيدة العـــام الجديد، وقد راحت أطـــراف جوانحها تحترق، بينما يعود صـــوت الأطفال لينبعث من جديد، وهو ينم عن ذعر وخوف).

ص أطفال : هذا بشع!..

مرعب!..

إنها جريمة!..

من فعل كل هذا؟.. من؟!..

أبي!.. هيه.. أبي!..

هيه.. أيها الجندي..

أيها الجندي!..

ص الجندي: ماذا هناك يا أولاد؟..

ص أطفال : أبي! أ ليس لجميع الطائرات ألوان جميلة؟..

ص الجندي: لا .. كثير من الطائرات لا لون لها..

ص أطفال : أيها الجندي!.. أليس لجميع الطائرات خيوط تحركها أصابع ناعمة؟..

ص الجندي: بعضها تحركها أصابع غليظة!..

ص أطفال : أليست جميعها مصنوعة من ورق؟..

ص الجندي: لا، فكثير منها صنع من مادة صلبة..

ص أطفال : وهل يمكن لتلك الطائرات أن تسرق الحياة من طفل؟!..
أو تحول بيته إلى حطام؟!..
ص الجندي: يمكـــن أن تنتزع حيـــاة ألاف الأطفال، وتدمر قرى بكاملها..
ص أطفال : من صنع هذه الطائرات؟!..
ص الجندي: نحن..
ص أطفال : أنتم أيها الجندي؟!.. أنتم يا أبي!؟..
ص الجندي: نعم.
ص أطفال : صـــنعتموها لتقتلـــوا بها الأطفـــال وتدمروا البيوت؟!..
ص الجندي: عندما نضطر نفعل ذلك..
ص أطفال : هذا مخيف!..
هذا مرعب!.
هذا بشع!..
اخلع بزتك العسكرية أيها الجندي!..
ارم سلاحك بعيداً..
ص الجندي: لا أستطيع!..
ص أطفال : سيقتلونكم كما تقتلونهم....
اخلع بزتك العسكرية..
الق سلاحك بعيداً..

ص الجندي: لا أستطيع..

ص أطفال : أنت لست أبي..

أنت لست جندياً.. لست فارساً..

أنت مجرم!.. سفاح!..

تخيفنا..

تفزعنا..

تسرق مرحنا..

تسرق منا حب اللعب..

و تزرع فينا الرعب..

- إعتـــام -

المشهد الخامس والأخير

(نعود هنا إلى المشـــهد الثالث في هذا الفصل، حيث وردة تقف على ســـطح بيت وسيم، بينما نينا وجاك يقفان في وســـط الســـاحة. تسلط بقع ضوئية على ساندرا وتوم وزوكو الموجودين مع بقية الأطفال في الصالة. تبادر وردة وهي تتطلع إليهم).

وردة : هل عرفتم اللغز الآن؟..

زوكو : (بدهشة واضـــحة) إذاً تلك الطائرات التي لا لون لها هي من أحرق طائراتنا الورقية..

جاك : (أيضـــا بدهشـــة) وحالـت دون وصـولها إلى وسيـم؟!..

وردة : وكذلك حالت دون وصول طائراته إليكم..

جاك : بأصـــابعهم البـــاردة يطلقـــون وحوشـــهم إلى الفضاء..

نينا : وبتلك الأصابع الباردة، يحرقون طائراتنا الورقية .. يمزقون أجنحتها.. يقطعون خيوطها..

زوكو : ثم ماذا؟!..

ساندرا : ثم تسقط أشلاؤها في مياه البحر..

جاك : وتنتقل رائحة سموم طائراتهم إلى مياه البحار فتلوثها .. أليس كذلك؟!..

(تنهض ساندرا وتتجه إلى المنصة، وهي تحدق إلى كلتا يديها وقد حل بها الرعب والهلع ، وهي تتمتم).

ساندرا : يداي! يداي لزجتان! ملوثتان !. (تصل إلى حيث الخشبة، ومن هناك تصيح تعبيراً عن ذعرها) توم!.. توم!..

توم : (يسارع ويذهب إليها) ساندرا!.. ساندرا!.. ما بك يا ساندرا ..

ساندرا : توم !.. أشعر وكأن الرائحة الكريهة، مازالت عالقة بيديّ!..

توم : آية رائحة تقصدين؟..

ساندرا : تلك التي كانت تطفو على سطح مياه المحيط..

توم : يوم كنا في فانكوفر؟..

ساندرا : نعم..

زوكو : أيعقل أن تصل سموم طائراتهم إلى محيط مدينتكم؟!..

توم : يبدو أنها وصلت..

نينا : كيف؟..

توم : فجأة تحولت زرقتها إلى ألوان داكنة.. ورائحة كريهة انبعثتْ منها..

ساندرا : (تصرخ) اريد غسل يديّ.. أريد إزالة الرائحة الكريهة عنها!..هيا!..هيا ساعدوني..

زوكو : كيف؟!..

ساندرا : أعطوني خيط طائرة.. لا تزيل الرائحة الكريهة عن يدي إلا أجنحة الطائرات الورقية وخيوطها..

وردة : (وهي تساعدها على مسك خيط طائرة ورقية) خذي!.. خذي ساندرا .. هيا أطلقيها عالياً!..

جاك : ساندرا!.. اطمئني!.. لن نجعل طائراتهم الوحشية تنتصر علينا..

توم : لا، لن نجعلها تنتصر علينا.. ها نحن أتينا من جميع أنحاء العالم لنقول لا!..

زوكو : لا لطائراتهم الوحشية..

نينا : لا لأصابع جنودهم الباردة..

جاك : الحياة لنا.. للعبنا.. لضحكنا..

نينا : لطائراتنا..

زوكو : نعم ، لن ينتصروا علينا ولا على طائراتنا الورقية..

وردة : (تصــرخ بحماس وعزيمة) إذاً هيا .. هيا لنبدأ كرنفالنا .. هيا!..

ساندرا : هيا بسرعة أرجوكم.. هيا!..

(يسارع الأطفال، فيطلقون طائراتهم الورقية. تنبعث موسيقا عذبة إعلاناً عن بدء الكرنفال. ينخرط الجميع في لعبهم ومرحهم. أثناء ذلك تظهر من خلال الستارة الخلفية، ظلال أشباح لجنــود راحوا يتهاوون واحداً إثر الآخر، وكأن اجتماع الأطفال وتلاقيهم، في هذا الكرنفال، كان له فعل الرصاص عليهم .

فجأة تظهر عصفورة النجاة سعيدة في تحليقها مع الطائرات الورقية. بينما يسمع صوت وردة تغنــي وهي تلاعب طائرتها على ســطح بيت وسيم).

وردة : الليلة عيد .. الليلة عيد ..

- إعتام تدريجي -

النهاية

الجائزة الثانية

«بحرُ الذهب»

مسرحية للفتيان

(للمرحلة العمرية ١٣ - ١٧عام)

تأليف : محمد سلام اليماني
رسوم : صباح كلا

شخصيات المسرحية

اياد

الأب

ديمة

المذيعة

الأم

الأميرة

الأطفال المعلنون

الزمان والمكان

تجري الأحداث خلال أسبوعين من شهر شباط، وبين مكانين:

١. (**صالة المسابقات**): صالة مسابقات تلفزيونية للأطفال. على الجدران دوائر كبيرة تمثل ثلاثة دنانير ذهبية، يحتوي الأوّلُ عِبارة: (**مسابقة بحر الذهب**)، ويحتوي الأوسطُ صورة طفل وطفلة عربيّين مبتسمين ، ويحتوي الأخيرُ عبارة: (**لكلّ أطفال العرب**) .

٢. (**بيت إياد**): غرفة معيشة في بيت متوسّط الحال في مدينة سورية: بضعة مقاعد. طاولة كتابة وكرسي. جهاز هاتف ثابت. مكتبة مليئة بالكتب يتوسّطها جهاز تلفزيون موجَّه نحو داخل الغرفة، فلا نرى شاشته.

الشخصيات

١. إياد : تلميذ في الصف السابع.
٢. ديمة : أخته، في الصف العاشر.
٣. الأم : أمّهما ، معلّمة.
٤. الأب : مدرّس مختصّ بعلم التربية ، وكاتب للأطفال.
٥. المذيعة : مذيعة برنامج المسابقات.
٦. الأميرة : مساعدة في برنامج المسابقات التلفزيونية.
٧. المعلِنون : جوقة أطفال كبار تنفّذ إعلانات دعائية.

مقدمة

(موسيقا. يدخل المعلنون يغنّون ويلوّحون بسلاسل طويلة من دنانير الذهب تطوّق رِقابَهم).

ذهباً ذهباً ، ذهباً ذهباً طرباً طرباً ، طرباً طرباً
نحنُ ربِحنا ذهباً ذهباً ولذا نرقصُ طرباً طرباً
طرباً طرباً ، ذهباً ذهباً ذهباً ذهباً ، طرباً طرباً

* * *

كنّا أفقـرَ مـن فقـراءْ كنّـا أتعَـسَ مِـن تُعَساء
وبلعبـةِ حـظٍّ وذكـاء صرنـا أسعـدَ مـن سُعَداء
ولذا نـرقصُ طرباً طربا طرباً طرباً ، ذهباً ذهبا

* * *

لعبـةُ حـظٍّ جرّبنـاها غامَـرْنا حينَ لَعبـناها
فإذا بالذهـبِ الرنّـانْ يغمُـرُنا مثلَ الطُّوفـانْ
ويُرقِّصـُنا طرباً طربا طرباً طرباً ، ذهباً ذهبا

(يخرجون. ويدخل الأب ويخاطب الجمهور).

الأب : مـــا رأيتم ليس من صـــنع الخيـــال، بل حادثةٌ حقيقيّة. هي ضربةُ حظٍّ قلّما تحدُث، لكنّ كثيراً من الناس أضـــحَوا يرَونها سهلةً ممكنة. لماذا؟ لأنّ في العالَم الآنَ جُنوناً شـــاملاً منتشراً يُدعى جُنونَ المال. ومن مظاهرِ هذا الجنون، التسابقُ إلى الربح السريع بأيِّ وســـيلة، والاحتيالُ على الناس بأســـاليبَ مبتكَرة، وألعـــابِ حظٍّ كثيرةٍ خدّاعة، يُغرى بها جميعُ الناس حتى الأطفال. إليكم مثـــلاً ولدي إياد. (يدخـــل إياد ويحيّي الجمهور) لقد ربحَ في مســـابقة تلفزيونيّة مئةَ ألـــفِ دينارٍ ذهبيٍّ تعادلُ مليونَ دولار. لكنه في تلك الســـاعة ذاتها خسرَ أكثرَ ممّا ربح. فكيف ربحَ وكيفَ خسرَ وماذا خسر؟ هذا ما ســـترَونه الآنَ من البدايةِ حتى النهاية. (يخرجان).

المشهد الأول

(بيت إياد - مساءً)

(موسيقا طفوليّة تنبعث من التلفزيون. إياد مستلقٍ بجذعه على الكرسي مادّاً رجليه على الطاولة، يقرأ في كتاب مجلّد سميك. تُسمعَ موسيقا مميّزة هي شارة مسابقة بحر الذهب، ونسمّيها اختصاراً (موسيقا الذهب). إياد يرفع الصوت بجهاز التحكّم ويراقب التلفزيون. ونسمع المذيعة) .

المذيعة : بحرُ الذهب: مسابقةٌ ثقافيّةٌ أسبوعيّة، للطفلِ العربيِّ والطفلةِ العربيّة، وللاشتراك تكفي مكالَمةٌ هاتفيّة. (ضربات موسيقية) رقمُ هاتفِنا تسعةُ أصفار، ونستقبلُ اتصالاتكم ليلَ نهار. والربحُ يبدأُ بدينار، ويصلُ إلى مئةِ ألفِ دينار، وتساوي مِليونَ دولار.

(موسيقا الذهب) (تأتي ديمة من داخل البيت وتقف شابكة يديها بانزعاج فيعتدل إياد في جلسته).

المذيعة : بحرُ الذهب: ثقافةٌ وشطارة، وربحٌ بلا خسارة. كلَّ يومِ ثلاثاء، في السابعةِ من المساء.

(موسيقا)

ديمة : ما هذا الإزعاجُ يا إياد؟!

إياد : (يكتم صوت التلفزيون بجهاز التحكم) كتَمتُ الصوتَ لأجلِك. وسأطفئُهُ بعدَ المسابقة.

ديمة : (تقترب) اليومَ لن ترى المسابقة.

إياد : (ناهضاً) لماذا؟

ديمة : في وقتها برنامَجٌ عن فلسطين، ومعي ستشاهدُه.

إياد : ما عدتُ أُطيقُ برنامَجاً عن فلسطين. يفورُ دمي مِن رؤيةِ الفظاعات، ولا أتحمّل.

ديمة : وكيف تتحمّلُ رؤيةَ السخافات؟!

إياد : المسابقاتُ ليست سخافات، بل تسليةٌ ومعلومات.

ديمة : تسليةٌ سيّئةٌ ومعلوماتٌ تافهة.

إياد : أنا أحبُّ أن أعرفَ كلَّ شيءٍ عن كلِّ شيء.

ديمة : فلا تتركُ مسابقةً إلاّ تراها وتغضبُ أمَّك.

إياد : أبي لا يمنعُني من رؤيةِ أيِّ مسابقة. وأنتِ لست وكيلَةَ أمّي فاتركيني ولا تزعجيني.

ديمة : أنا أخافُ عليك؛ أخشى أن تغريَكَ إحدى المسابقات، فتتّصلَ كالآخَرين.

إياد : وهل أنا أحمقُ كالآخَرين؟! يتّصلونَ ويتّصلونَ ويسمعونَ الإجابة نفسَـها: (يقلّد صوتاً آليّاً) الكمبيوتر يشـكرُك على اتصالِك، ويرجو أن تحـاولَ مرّةً ثانيـة. (ثم بلهجتـه هو) يعني: شـركاتُ الهاتفِ تربحُ على حسـابِ عشراتِ آلافِ المتّصلين. وهذا احتيال.

ديمة : هذا قمارٌ أيضـاً؛ فكلّ لعبـةٍ يربحُ فيها أحدٌ شـيئاً على حسـابِ غيرِه فهي قمـار. وهذه المسـابقاتُ أسـوأُ أنواعِ القمـارِ لأنها تغري جميعَ الناسِ حتى الأطفَال. فابتعدْ عنها كي لا تغريَكَ وتفسدَك.

إياد : خوَّفتني.. طالبةٌ في الصـفِّ العاشر، وتحكي كأستاذة!

ديمة : لا تسخرْ؛ أنا أنصحُك.

إياد : اطمئنّي اطمئنّي؛ (وبلهجة استفزازيّة) سأتابعُ كلّ مسـابقةٍ في كلِّ محطّة، ولـن تغريَني ولن تفسدَني.

ديمة : بل ستكونُ مقامراً حين تكبر.

إياد : إنكِ ضـدّي في كلِّ شيء. وتتأمّرينَ عليَّ كأنّي بلا عقـلٍ ولا إرادة. فلا تتفلسـفي عليَّ بعدَ

الآن. لا تتفلســفي عليّ بعدَ الآن. (تأتي الأمّ من خارج البيــت حاملة علبة كرتون مربوطة بشريطة حمراء).

الأم : ما شاءَ اللّه، ما شاءَ اللّه!!

إياد وديمة : أمّي؟!

الأم : كأنكما توم وجيري!!

إياد : (يســرع إليها) دعينا من تــوم وجيري وهاتي الهديّة.

الأم : (وهي تمنعه من أخذ العلبة) ليست هديّةً بل تَحلِية.

إياد : دعيني أراها.

الأم : (وهي تمنعه من أخذ العلبة) اِحزِرْ مناســبَتها فتراها.

إياد : حــزَرت: هديّةٌ مِن الشــعراءِ الشــبابِ لأنهم طلاّبُ أبي.

الأم : (تســير نحو المكتبة وتكشف العلبة عن قالب كاتّو مزيّــن) التحليةُ منّي أنا، والشــعراءُ ما كانوا جميعاً طلاّبَ أبيــك. وقد أهدَوْنا بدلَ الشعرِ كلماتٍ غامضــةً مُمِلّة، مع أنّ الحفلةَ كلّها عن فلسطين.

إياد : (مستنكراً) ألم يكتبوا عن فلسطين؟!

الأم : كتبوا؛ صوّروها بصورةِ امرأةٍ ظالِمةٍ يحبّونها، وتعذّبهم عذابَ جهنّم.

إياد : ما شـــاءَ اللّه!! أهلُ فلسطين يموتونَ في اليوم ألــفَ مرّة، وهؤلاءِ يكتبونَ عــن حبِّهم لامرأةٍ شرّيرة!!

ديمة : أمّي، ما سببُ التحلية؟

الأم : الســببُ أنّا.. في الحفلــةِ التقينا بالأســتاذ ماهر.

إياد : مَن هو الأستاذ ماهر؟

الأم : زميلُ أبيكمــا؛ مدرّسٌ وكاتبٌ من بلدتنا. وقد أصــبحَ المديــرَ العامَّ لجوائزِ كتّــابِ الأطفالِ العــرب. وقد أتى خصوصــاً لأجــلِ أبيكما، وسيمنحُه الجائزةَ الأولى عن قصصه.

ديمة : القصص التي أرسلَها أبي منذُ أشهُر؟

الأم : هي ذاتُهــا. ومَقــدارُ الجائزةِ عشــرةُ آلافِ دينارٍ عربيّ، وتعادلُ مئةً وخمســينَ ألفَ ليرةٍ سوريّة.

ديمة : ودفعَها الأستاذُ ماهر؟

الأم : قالَ إنه سيدفعها.

إياد : متى سيدفعها؟

الأم : ستعرفُ عندَما أحكي التفاصيل.

إياد : ولكنْ باختصار.

الأم : سأحكي باختصار. (وتبدأ المزاح) مديرُ الجوائزِ جاءَ بطائرةٍ خاصّةٍ إلى سورية. وفورَ وصولِهِ استأجرَ سيّارةً خاصّةً إلى بلدتِنا، وبدأَ يبحثُ عن أبيكما.

إياد وديمة : (يحتجّان) أمّي، كفى. (ومنذ الآن تتهرّب الأم منهما دائرة في المكان ويتبعانِها)

الأم : ولم يهتف إلى هنا لأنّ هاتفَنا جديدٌ ولا يعرفُه، فذهبَ إلى دار المعلّمينَ فوجدَها مغلقةً ونسيَ أنّا في عطلةِ الربيع، فذهبَ إلى اتحادِ الكتّاب.

إياد وديمة : (مقاطعين باحتجاج) أمّي.. أمّي..

الأم : وفي اتحاد الكتّاب.. أخبروهُ بأنّ أباكما أنهى لقاءً قَصصيّاً مع الأطفالِ ثم انصرف، وأنه سيكونُ في مهرجانِ الشعراءِ الشبابِ هذا المساء، فذهبَ إلى هناكَ ينتظرُ أباكما.

إياد : أوصلينا إلى النهاية.

الأم : (تنهي دورانَها في المكان) سآتي إلى النهاية.

ديمة : أمّي، خلّصينا.

الأم : إليكما النهاية؛ أنا وأبوكما قرّرْنا ما يلي: سنقسمُ المبلغَ ثلاثةَ أقسام: لكلٍّ منكما خمسونَ ألفاً نضعُها في جمعيّةٍ سكنيّة، وندّخرُ فوقَها شهرياً، فيكونُ لكلٍّ منكما في المستقبل، شقّةٌ مِلْكٌ وليس أجرة.

إياد : يبقى خمسونَ ألفاً.

الأم : نتبرّعُ بها لأطفالِ فلسطين.

إياد : (لديمة مبتهجاً) أبي أعظمُ أبٍ وأعظمُ متبرّع.

ديمة : (لإياد مبتهجة) وأعظمُ مدرّسٍ وأعظمُ كاتب.

الأم : (ممازحة) وأنا، لستُ شيئاً؟!

إياد وديمة : (بأسلوب التلاميذ الجماعي) أنتِ الأصلُ يا أمّاه.

الأم : (ساخرة بأسلوب معلّمة التلاميذ) شكراً.

إياد : وأينَ أبي الآن؟

الأم : في الفندقِ مع مديرِ الجوائز.

إياد : إلى هذه الساعة؟!

الأم : هناكَ ترتيباتٌ ضروريّة، فالمبلغُ كبيرٌ وليس لعبة.

ديمة : الآنَ يقبضُـــ المبلغ، ثم نحتفلُ ونســـهرُ حتى الصباح.

إياد : بل نحتفلُ من الآن.

(الولدان يمسكان يدي الأم ويدوران بها وهما يقفزان ويهتفان، فتشاركهما القفز والهتاف)

الثلاثة : نتبرّع.. نتبرّع.. (يكرّرونها، ويدخل الأب بطيئاً، حاملاً كيساً صغيراً أسود فيه أكداس كالنقود الورقيّة. فيندفع الثلاثة نحوه ويمسك كلّ ولد بإحدى يديه وتكمل الأم الحلقة، ويدورون به مردّدين):

الثلاثة : نتبرّع.. نتبرّع.. نتبرّع..

الأب : (وهو يحاول التملّص) كفى، كفى، كفى.

(يخلّص نفسه فيتوقّفون، ويخطف إياد الكيس ويسرع إلى الطاولة وتتبعه ديمة).

إياد : سأرى الدنانير.

(إياد يقلب الكيس فتتدلق منه ثلاث مخطوطات صغيرة أنيقة، فتندهش الأمّ والولدان) .

إياد وديمة : (متعجّبين) مجموعةُ القِصص!!

الأب : ومع الأسف.

ديمة : قالوا إنهم قبِلوها.

الأب : حتى الآنَ لم يرفضوها.

الأم : فما المشكلة؟

الأب : مديرُ الجائزةِ غشّاشٌ ومحتال، وأعضاءُ لَجنتِهِ مثلُه.

الأم : ماذا جرى في الفندق ؟

الأب : أخبَرني الأستاذُ ماهر أنّ قِصصي هذه واقعيّةٌ ولكنها غيرُ جميلة، وإن بقيَت على حالِها فلن تنالَ أيّةَ جائزة. لكنْ إن قمتُ بتعديلٍ صغيرٍ في كلِّ قصّة، فإنّه ولجنتَهُ سيعطونني الأولى، فأكسبُ عشرةَ آلافِ دينار، وأرفعُ رأسي ورأسَ بلدي.

ديمة : وما هذه التعديلات؟

الأب : (للجميع) يريدونَ أن أزوِّرَ حقائقَ واقعنا وحياتِنا، وأن أزوّقَها بالأكاذيب. وأنا لا أخونُ ضميري لأجلِ بعضِ المال، ولا أخدعُ الأطفالَ بالأوهام.

الأم : وأنا معك.

ديمة : أنا معك أيضاً.

إياد : أنا عندي فكرة: اكتبْ ما يريدونَ هذه المرّة، هذه المرّةَ وحدَها كي نتبرّع.

الأب : احسُبها يا إياد: لو تبرّعتُ بجائزتي كلِّها، فسوف ينالُ كلُّ عشرةِ أطفالٍ من فلسطين ليرةً واحدة، فهل هناكَ أتفهُ من هذا المبلغ؟! وهل تظنّهم ينتظرونَ نقودي وحدَها كي يعيشوا؟!

إياد : لكنّ أبي، منكَ مبلغٌ ومن غيركَ مبلغ.

الأب : (مقاطعاً) المتبرّعونَ أكثرُ ممّا تظنّ بكثير، وتبرّعاتُهم أكثرُ ممّا تظنُّ أيضاً. لكنّ مشكلةَ فلسطين تحتاجُ إلى حلٍّ غيرِ التبرّعات.. (يجلس) أمّا الجمعيّةُ السكنيّة..

ديمة : الجمعيّةُ ادّخارٌ لسنواتٍ وسنوات. واستعجالُنا الآنَ لا يقدّمُ ولا يؤخّر.

الأم : مهما كانَ يا ابنتي، الاستعجالُ أفضل.

ديمة : الأفضلُ أن نصبرَ حتى تنتهي أقساطُ هذا البيت، فهي تستهلكُ معظمَ راتبك.

الأم : كما تريدين. لكنّي أصرُّ على انتسابِ إياد.

إياد : وأنا لا أوافق.

الأم : لمَ لا يا بنيّ؟ تصيرُ رجلاً فتجدُ بيتَكَ أمامَك.

إياد : بَل أجدُ الأقساطَ أمامي إلى يوم القيامة. (الأب يضحك) فلا تحمِلوا همّيَ؛ سأدبِّرُ رأسي حين أكبر.

الأم : أنت عفريتٌ ولا يُخشى عليك. لكنّي سأجعلُكَ عضواً في الجمعيّة رغمَ أنفِك.

ديمة : (لإياد مازحة) افرَحْ يا إياد.

إياد : (غاضباً) لن أفرح. أنا مقهورٌ ومقهورٌ ومقهور.

الأب : (ينهض ويقلّد ابنه ممازحاً) لماذا، لماذا، لماذا؟

إياد : أنا مقهورٌ عليك؛ سهرتَ الليالي تكتبُ وتكتب، (ومع إشارة ساخرة) لجائزةِ كلِّ العرب.

الأب : (يشير إلى المكتبة) لكنّي كتبتُ قبلَها عشراتِ القصص، وصارت كتباً تُقرأُ باحترام. (ويشير إلى المخطوطات) وهذه المجموعاتُ سأعمَلُ على طبعِها هنا في بلدي، ولن أعتمدَ على مسابَقةٍ أو جائزة.

(إظلام خفيف. يخرج الأب والولدان، وتسير الأم لتقف في مقدّمة المسرح، وتروي للجمهور).

الأم : في هذا الزمان، أدخلَنا إلى بيوتِنا ماردَين جبّارين لا غنى لنا عنهما: الأوّلُ يحملُ الكونَ كلَّهُ ويحضِرُه إلينا، وهو التلفاز. والماردُ

الثــاني هو الهاتــف، ويحملُنا عبرَ أصــواتِنا إلى كلِّ الدنيا فنتواصــل. لكنّ هذين الماردين العظيمــين قد يحملانِ إلينا شرّاً أعظم، إن لم نحسن استخدامَهما والسيطرةَ عليهما. فكيف نأمَنُ على أولادِنا من شرورِهما؟ ربّما تقولون: بحكمةِ العقلِ وقــوّةِ الإرادة. وأنا أقولُ: هذا صــحيح. لكنّ ولديَ في الليلةِ الماضــية، كان طائشَ العقلِ ضعيفَ الإرادة، فاستفَقنا اليومَ على مفاجأةٍ سيّئة. (تخرج) .

* * *

المشهد الثاني

(بيت إياد صباحاً)

(لا أحد في الغرفة. يأتي إياد من داخل البيت ويقف قلقاً. يأتي الأب من الداخل حاملاً جاكيته، قميصه غير مزرّر وربطة عنقه محلولة ومتدلّية حول عنقه. يكمل هندامه فيما يلي).

الأب : نعم، يا إياد؟ ماذا أردتَ أن تحكي بيني وبينَك؟

إياد : أنا، أردتُ أن أسألَك: ما رأيُكَ بمسابقةِ بحرِ الذهب؟

الأب : كنتُ أظنّكَ تعرف. هذه المسابقةُ وأمثالُها أساليبُ احتيال، (يشير بإبهامه وسبّابته إشارة عدّ المال) تموِّلُها شركاتُ اتصالاتٍ هاتفيّةٍ عربيّةٌ وأجنبيّةٌ وتربحُ منها. (إياد يبلع ريقه) وأخطرُ ما في هذه المسابقات، أنها تغري الناسَ بالكسلِ والأنانيّة، فلا يؤمنونَ بالعملِ والحقِّ والواجب، بل يؤمنونَ بالحظِّ والنصيبِ والرقمِ السحريِّ والفرصةِ الذهبيّة.

إياد : أبي، أنا أعرفُ هذا، ولكنْ.. (يتردّد).

الأب : يجبُ أن تعرفَ أيضـــاً، أنّ دولتَنا تأخذُ قسماً صـــغيراً من ثمنِ المكالَمـــاتِ الدوليّة، والباقي تأخـــذُه شـــركاتُ الهاتفِ الخارجيّـــة، فهناك اتفاقاتٌ تقسّـــمُ أجورَ المكالَمـــاتِ بينَ الدول. (يرنّ الهاتف فيجيب الأب)

الأب : ألو، صباحُ النور.. أنا أحمدُ الصوفي أبو إياد.. ليلةَ أمسِ اتصـــلَ بكُم واختارَه الكمبيوتر؟.. وأين ستجري المسابقة؟ أعني أين تقعُ محطّةُ بحرِ الذهب؟.. ماذا تقولين؟!.. شكراً وسوف أتصرّف.. طيّب، كما تريدين. (يضع السمّاعة وتأتي الأم وديمة من الداخل).

الأم : (للأب) اسمعْ مشروعَنا اليوم: سنخرجُ كلّنا في نزهةٍ إلى البساتين، ونريحُ أعصابَنا.

الأب : اسمعي أنت وديمة: جاءتنا مشكلة.

الأم : مَن اتصلَ الآنَ وما المشكلة؟

الأب : إيادُ غافلَنا في الليلِ واتصـــلَ بمســـابقةِ بحرِ الذهب.. واختاروهُ للمسابقةِ القادمة.

إياد : اتصلتُ مرّةً واحدة.

ديمة : مرّةً واحدة؟!

إياد : أنا لا أكذب.

ديمة : لكنّهم لا يختارونَ أحداً إلاّ بعدَ آلافِ الاتصالات.

إياد : فاتورةُ الهاتف ستبيّنُ أني اتصلتُ مرّة.

ديمة : (للجميع) إذنً هي حيلةٌ جديدة؛ لينتشرَ الخبرُ بينَ الناسِ ويصدّقوا أنّها حظٌّ بالكمبيوتر.

الأم : حِيَلُهم معروفةٌ ولا تهمّنا الآن. المهمُّ إياد.

إياد : (يسرع إلى المكتبة) في حصّالتي ألفُ ليرة، (يفتح حصّالة ويخرج منها أوراقاً ماليّة) وكنتُ أنوي دفعَ ثمنِ مكالمتي عندما تصدُرُ الفاتورة.

الأم : (تأخذ المال) هاتِها الآن. وهي أولى خسائرِك.

إياد : هذه المسابقةُ ربحٌ بلا خسارة. لم يخسرْ فيها أحدٌ في أيّةِ حلقةٍ سابقة.

الأب : (بتفخيم ساخرٍ) هذا أكيد. ويستأذنونُ أهلَ المتسابقِ في سفرِه ، ثم يستضيفونَه على حسابِهم ثلاثةَ أيّام. فهل تعرفُ أين محطّةُ بحرِ الذهب؟

إياد : (مطرقاً) لا أعرف.

الأب : في لندن؛ عاصمةِ إنجلترا.

الأم : (لإيـــاد) هكذا مرّةً واحـــدة؟! إلى إنجلترا كي تقامر؟!

إياد : المسابقةُ ذاتُها ليست مقامَرة.

الأم : والوصـــولُ إليهـــا بتلـــكَ الاتصـــالاتِ، أليسَ مقامَرة؟

إياد : (بعد صمت قصير) أنا أخطأتُ ولن أعيدَها.

ديمة : (ساخرة) أخطأً بنيّةٍ حسنةٍ كي يتبرّع.

إياد : لا تســـخري. كنت قرّرتُ شـــيئاً والآنَ غيّرتُ رأيي.

الأم : (للجميع، كي تشجّع ابنها على التراجع) الآنَ شعرَ بالندم وتراجع. (ثم لإياد) أليس كذلك؟

إياد : لم أندم ولم أتراجع. لكنني.. (يصمت).

ديمة : (ســـاخرة) ربّما قـــرّرَ أن يتســـابقَ ويغنى ولا يتبرّع.

إياد : إنك ضدّي في كلِّ شيء.

الأم : بل أنت ضدُّ نفسك.

إياد : أنا سأكونُ أحسنَ منكم ومِن كلِّ متبرّع.

الأم : اسكتْ أو أضربُك.

الأب : لا أسمحُ بهذا الكلام. وتذكّري أصولَ التربيةِ فأنتِ معلّمة.

الأم : وتذكّرْ أنك أستاذُ أساتذةٍ وتعلّمُ أصولَ التربية. فهل أحسنتَ تربيتَه.

الأب : أنا لا أربّيه وحــدي، بل نحن جميعاً والحارةُ والمدرسة، (ثم بتأكيد) وخصوصاً التلفزيون. وقد اعترفَ بأنه أخطأ فماذا تريدين؟

الأم : ألا تعرفُ ماذا أريد؟!

إياد : أبي، ســأقولُ كلمة: سوف أتبرّعُ بكلِّ ما أربحُهُ لأطفالِ فلســطينَ حتى لو بلغَ مليونَ دولار.. وبعدَها سأحاربُ القمارَ طولَ عمري.

الأم : وأنا أقولُ : كلاّ لن تذهبَ ولن تتشــاطر، ولن تربحَ ولن تتبرّع.

إياد : (يكاد يبكي) لماذا، لماذا، لماذا؟

الأم : كــي لا تشــاركَ المحتالينَ في التشــجيع على القمار. فكلّما ربحتَ أكثرَ شجّعتَ عليه أكثر. ولأنّ القمارَ في القانونِ جريمةٌ ، وفي الأخلاقِ عيبٌ ، وفي الدينِ حرام. وأطفالُ فلســطين لا يليقُ بهم مالٌ قذر.

ديمة : (لإياد) أمّي تقصِــدُ أنّ مشــكلةَ فلسطين لِها حلٌّ آخَر.

إياد : (باكياً) أنتِ اسكتي، اسكتي.

الأب : (لإياد) كفَّ عن البكاء. (ثم للأم وديمة) وهذه المناقشـــة مهما طالت فالنتيجـــةُ واحدة: إمّا أن نرســـلَه أو لا نرسلَه. (ثم لإياد) وأنا قرّرتُ إرسالَك.

الأم : (بعصبيّة) أتكافئه بدلَ العقوبة؟!

الأب : اهدئـــي وافهَميني؛ إن منعناهُ فســـوفَ يحقدُ علينـــا طولَ عمره. أمّا حين يتســـابقُ ويتبرّع، فسيشعرُ أنه تخلّصَ من ذنبِه.

الأم : (بعد صمت) كما تريد.

الأب : (لإيـــاد) لا تنســَى الوعدَ الـــذي قطعتَه على نفسك.

إياد : سأتَبرّعُ بكلِّ أرباحي لأطفالِ فلسطين.

الأب : تعـالَ نســتخـرجْ جـوازَ ســفـرِك. (موســيقا الذهب).

* * *

المشهد الثالث

(صالة المسابقات)

(إياد والمذيعة جالسان إلى طاولة عليها ثلاثة ظروف: أصفر، وبرتقالي، وأحمر. الأميرة تقف بجانب باب عليه ستارة فخمة، وكلّما ربح إياد مبلغاً فإنها تُحضر المبلغ من خلف الباب في كيس مخمليّ خمريّ اللون وتضعه على منصّة مزخرفة، وتعيد المبلغ الذي ربحه قبله إلى خلف الباب، وكلّ هذا خلال موسيقا الذهب).

(يدخل المعلنون وهم يغنّون).

المعلنون :

بَمبَم كولا بَمبَم كولا اِشربْ اِشربْ بَمبَم كولا
مشروبُ الأبطال ولكلِّ الأطفال
اِشرب بَمبَم اِشرب بَمبَم تغدُ قويّاً مثلَ البَمبَم

(يخرجون مع موسيقا شارة المسابقة).

المذيعة : أعزّائي الأطفالَ العرب، أرحّبُ بكم في مسابقةِ بحرِ الذهب. ومرّةً ثانيةً أرحِّبُ بضيفِنا إياد

الصـــوفي من ســـورية، وهو طالبٌ في الصفِّ الســـابع. (ضربات موســـيقية) قبلَ الفاصـــلِ عرضتُ له شروطَ المسابقةِ وجوائزَها ووسائلَ المســـاعدة. كما ذكّرتُ بـــأنّ دينارَنا الذهبيَّ يعادلُ عشرةَ دولارتٍ أميركيّة، وأنّ المتســـابقَ يمكـــنُ أن يأخذَ أرباحَهُ بالدينـــارِ الذهبيِّ أو الـــدولارِ الأميركيّ. (ضربة موســـيقية) والآنَ أبـــدأ المرحلةَ الأولى من المســـابقة. (ضربات موســـيقية) (تحمل الظرف الأصـــفر وتخرج منه ثلاث بطاقات صفراء وتنظر في إحداها، ثم توجه كلامها إلى إياد).

المذيعة : السؤالُ الأوّلُ جائزتُهُ دينارٌ واحدٌ وهو يقول: دولةُ موناكو هل هي إمارةٌ؟ أم مملكةٌ؟ أم جمهوريّة؟

إياد : دولةُ موناكو؟! لم أسمعْ بها في حياتي.

المذيعة : انتبـــه يا إياد. ألم تســـمعْ (ثم بتأكيـــد) بإمارةِ موناكو؟!

إياد : كلاّ، نعم. هي إمارة.

المذيعة : وربحتَ أوّلَ دينار. (موسيقا الذهب) السؤالُ الثاني جائزتُهُ خمسةُ دنانير. وهو يقول: سيّارةُ شـــومَخَر في سباقِ الفورمولا، هل هي من نوعِ

تويوتا؟ أم فِرّاري؟ أم شيفروليه؟

إياد : نوعُـهـا فِـرّاري. لونُـها أحمـر، وشـعارُها حصان.

المذيعة : جوابٌ جميلٌ وخمسةُ دنانير. (موسيقا الذهب) والسـؤالُ الأخيرُ في هـذه المجموعة جائزتُه عشرةُ دنانير، ويجبُ أن تنالَها لأن لديكَ ثلاثَ وسائلِ مساعَدة: تغييرُ السؤال، وحذفُ إجابةٍ مـن الإجاباتِ الثلاث، والاسـتعانةُ بالأميرة. والسؤالُ يقول:

كلّ ورقةٍ نقديّةٍ أمريكيّةٍ عليها صـورةُ رَجُل. وهذا الرجلُ هـو: رئيسٌ أميركـيّ، أو مديرُ بنـكٍ أميركـيّ، أو الفنّانُ الذي رسـمَ الورقةَ للمطبعة.

(إياد يصمت محتاراً ويحكّ رأسه)

المذيعة : ما لكَ يا إياد؟!

إياد : (كاتماً غضـبه) أزعجَني السؤال. فأنا أنا لا أعيشُ في أمريكا ولا أستخدمُ الدولار.

المذيعة : فهل أغـيّرُ لـك السـؤال، أم أسـاعدُكَ في الإجابة؟

إياد : كما تريدين؛ والمهمُّ أن أربح.

المذيعة : أنت صريحٌ وجريءٌ وسوف أساعدُك. هل الأهمُّ عندَ الدولةِ رسّامُ نقودِها؟ أم مديرُ بنكٍ فيها؟ (ثم بتأكيد) أم رئيسُ الدولة؟

إياد : رئيسُ الدولة.

المذيعة : وحصلتَ على عشرةِ دنانيرَ ولن تخسرَها بعدَ الآن. (موسيقا الذهب) (وللجمهور) وبانتظارِ المرحلةِ الثانية من هذه المسابقة، نبقى مع هذا الفاصل:

(يدخل المعلنون وهم يغنّون)

المعلنون :

شيكا بيكا شيكا بيكا ما اطيبَ شوكولا شيكا بيكا

شيكا بيكا شيكا بيكا فخرُ مَعاملِ أتلَنْتيكا

(يخرجون مع موسيقا شارة المسابقة)

المذيعة : أعزائي المشاهدينَ في كلِّ مكان، نعودُ بكم إلى مسابقةِ بحرِ الذهب، وإلى المتسابق إياد الصوفي. إياد اجتازَ المرحلةَ الأولى وأحرزَ عشرةَ دنانيرَ وانتقلَ إلى المرحلةِ الثانية، وهي أيضاً ثلاثةُ أسئلةٍ وجائزتُها الكبرى ألفُ دينار. (تأخذ الظرف البرتقالي وتخرج منه ثلاث بطاقات برتقالية وتنظر في إحداها).

المذيعة : (لإيـــاد) الســـؤالُ الأوّلُ جائزتُهُ مئـــةُ دينار. والســـؤالُ يقول: فلـــمٌ أمريكيٌّ يحكي قصّـــةَ ســـفينةِ ركّـــابٍ ضـــخمـــةٍ فخمـــة، غرقَت في المحيطِ الأطلسيّ. عنوانُ الفلمِ هو نفسُهُ اسمُ السفينة.

إياد : اسمها تايتانك.

المذيعة : لا تجبْ قبلَ انتهاءِ الســـؤالِ كي لا تغلط. هل اسمُ الفلم: بيسمارك. أو باونتي. أو تايتانِك.

إياد : تايتانك.

المذيعة : وصـــارَ لديكَ مئةُ دينار. (موســـيقا الذهب) (المذيعة تحمل البطاقة الثانية) السؤال الثاني يجعلُ رصـــيدَكَ خمسَـــمئةِ دينـــارٍ إذا أجبتَ إجابةً صحيحة، وإذا انسحبتَ فإنك تحتفظُ برصـــيدِكَ الحـــاليِّ وهو مئةُ دينـــار. أمّا إذا أخطأتَ في الإجابةِ، فإنك تخسرُ هذه المرحلةَ كلَّها وتعودُ إلى رصـــيدِ المرحلةِ الســـابقة، أي إنك تعودُ إلى عشرةِ دنانير.

إياد : أعرفُ، أعرف. فما السؤالُ الثاني؟

المذيعة : السؤالُ يقول: ما جنسيّةُ السائقِ العالميِّ باريكيلّو؟ هل هو برتغالي؟ أم إيطالي؟ أم برازيلي؟

إياد : لا أعـرفُ جنسـيّةَ باريكيلّو. كنـتُ أعرفُها ونسيتها.

المذيعة : فهل تنسـحبُ من المسابقة، ومعكَ مئةُ دينار؟ أم تستخدمُ وسيلةَ مساعدة؟

إياد : أستخدمُ وسيلةَ مساعدة.

المذيعة : أذكّـرُكَ بوسـائـلِ المسـاعـدة، وهـي تغييرُ السؤال، أو حذفُ إجابةٍ واحدة، أو الاستعانةُ بالأميرة.

إياد : أريدُ تغييرَ السؤال.

المذيعة : إذنْ نغيّرُ السـؤال. (ضربة موسيقية. المذيعة تقلب البطاقة) السـؤالُ صـارَ يقول: ما هي جنسيّةُ السائقِ العالمي مايكل شومَخَر؟ هل هو ألمانيّ؟ أم فنلنديّ..

إياد : ألمانَي، ألماني.

المذيعة : لا تُجِـبْ حتى ينتهي السـؤالُ كي يسـتفيدَ الجمهور.

إياد : الجمهـور يسـتفيدُ من الجوابِ الصـحيح. شومخَر ألمانيّ.

المذيعة : وخمسُمئةِ دَينار. (موسيقا الذهب) خمسُمئةِ دينارٍ دينار. والآنَ إلى السؤالِ الأخيرِ في هذه

المرحلة، وجائزتُهُ ألفُ دينار. (تنظر في البطاقة الأخيرة) السؤالُ يقول: بعضُ الشركات تسمّى شركات مساهمة، أيّ إنّ ملكيّتَها مقسَّمةٌ على آلافِ الحِصَص المتساوية، كلُّ حِصّة تسمّى سَهماً، ويملكُ الشركةَ كلُّ مَن يشترونَ تلكَ الأسهم. فما معنى السَهم في الشركة؟ هل هو حِصّةٌ في أملاكِ الشركَة؟ أم حِصّةٌ في أرباحِها وخسائرِها؟ أم حصّةٌ في الأملاكِ والأرباحِ والخسائر؟

إياد : (بابتسامَة خبيثة) هذا سؤالٌ لا يعرفُهُ إلاّ قليلٌ من الناس. لكنّي عرفتُ جوابَه مصادَفة.

المذيعة : اشرحْ لي تلك المصادَفة.

إياد : كنتُ أسيرُ مع أبي أمامَ شركة، وقرأتُ على لوحتِها أنها شركةٌ مساهِمة، فسألتُ أبي وأجابَني.

المذيعة : مع هذا أحذِرُك: إن لم تكنْ متأكّداً من كلام أبيكَ فلا تُخاطِرْ بالإجابة، ولديكَ وسيلتانِ للمساعدة.

إياد : أبي أستاذُ أساتذةٍ وثقافته واسعة، ولا يعطي أحداً معلومةً خاطئة.

المذيعة : أحيّي اعتزازَكَ بأبيك. فما جوابُك؟

إياد : هو الجوابُ الثالث: السهمُ في الشركةِ يعني حصّةً في الأملاكِ والأرباحِ والخسائر.

المذيعة : وصارَ رصيدُكَ ألفَ دينار. (موسيقا الذهب) ألفُ دينارٍ من الذهب. ولن تخسرها ولو أخطأتَ في المرحلةِ القادمة. ألفُ دينارٍ وعُقبى للمئةِ ألفِ دينار. (ثم للجمهور) وبانتظارِ المرحلةِ الأخيرةِ من حلقةِ اليوم، نتوقّفُ مع هذا الإعلان:

(يدخل المعلنون وهم يغنّون)

المعلنون :

عِلكةُ دُنيا عِلكةُ دُنيا شُهرَتُها في كلِّ الدنيا
عِطرُ الوردِ وطعمُ العسلِ لونُ الأمَلِ وفرحُ الدنيا
دنيا دنيا علكةُ دنيا

(يخرجون مع موسيقا شارة المسابقة) (ومنذ الآن تُحضر الأميرة أكياس الجوائز الضخمة في عربة أطفال) .

المذيعة : أعزّائي المشاهدينَ وصلنا إلى المرحلةِ الأخيرةِ مع المتسابق: إياد الصوفي. (ضربة موسيقية)

إياد ربحَ ألــفَ دينار، وهو في طريقه إلى مئةِ ألــفِ دينارٍ وأمامَهُ ثلاثةُ أسـئلة. (تخرج من الظرف الأحمر ثلاث بطاقات حمراء وتنظر في إحداها).

المذيعة : (لإيــاد) الســؤالُ الأوّلُ جائزتُــهُ عشرةُ آلافِ دينار. والســؤالُ يقولُ: ما هي البورصة؟ هل هي ســوقٌ عالَميّةٌ لتجارةِ أسـهُم الشركات؟ أم ســوقٌ عالَميّةٌ لتجارةِ النقودِ كالدولارِ والليرة؟ أم سوقٌ لتجارةِ النقودِ وأسهُمِ الشركات؟

إياد : (بعد أن يحكّ رأسه) أريدُ وسيلةَ مساعدة.

المذيعة : لديكَ وسيلتان: حذفُ إجابة، وسؤالُ الأميرة.

إياد : (بعد تفكير) سؤالُ الأميرة.

المذيعة : كما تريد. (ضربة موسيقية) لتقترب الأميرة.

(موسيقا احتفالية. الأميرة تقترب من إياد)

الأميرة : (تنحني بالتحية) الأميرةُ في خدمتك. والجوابُ الصــحيحُ هو الجوابُ الأوّل: البورصــة هي سوقٌ عالَميّةٌ لتجارةِ أسهمِ الشركات.

المذيعة : (لإياد) وماذا يقولُ إياد؟

إياد : أقولُ مثلَ الأميرة: الجوابُ الأوّل.

المذيعة : انتبِه يا إياد: الأميرةُ إنسانةٌ تخطئُ وتصيب،

وأنت حرٌّ في قَبولِ جوابهـا وتَحمُّلِ النتيجة، أو رفضه والانسحاب بألف دينار.

إياد : الأمـيرةُ لم تخدعْ أحداً قبلَ اليـوم. وأنا أقبلُ جوابَها.

المذيعة : ولكَ منّي ومنها عشرةُ آلافِ دينار. (موسـيقا الذهب) (المذيعة تنظـر في البطاقة الثانية) السؤالُ الثاني يرفعُ رصيدَكَ إلى خمسينَ ألفَ دينار، فانتبه ولا تتعجّلْ في الإجابة. والسؤالُ يقول: بطلُ المسلسلِ الأميركيِّ ماغنوم، يطلقُ النارَ على خصـومه من مسدّسٍ واحد، أو من مسدّسين، أو من رشّاش.

إياد : (بعد تفكير) أستخدمُ وسيلةَ مساعدة: حذفُ إجابة.

المذيعة : (فـوراً) فلْنحذفْ إجابة. (ضربة موسـيقية) الكمبيوتـر حـذفَ الرشّـاشَ فمـا جوابُك؟ مسدّسٌ واحد، أم مسدّسان؟

إياد : مسدّسٌ واحد.

المذيعة : هل أنتَ متأكّد؟

إياد : متأكّـد. رأيتُ كلَّ حلقـاتِ ماغنوم، ولم يحملْ رشّاشـاً في أيِّ حلقـة. لكنـي لا أتذكّـرُ هل

يســتخدمُ مسدّســاً أم اثنــين، والآنَ عرفتُ الجواب؛ مسدّسٌ واحد.

المذيعة : ولك منّي ومن ماغنوم: خمســونَ ألفَ دينار. (موسيقا الذهب) خمسونَ ألفَ دينار. (المذيعة تنظر في آخر بطاقة) والآنَ إلى سؤالِ الجائزةِ الكــبرى ومقدارها مئةُ ألفِ دينار. (ثم بلهجة تخويف أكثر منها لهجة تنبيه) وليس لديك أيّةُ وسيلةِ مساعَدة. والسؤالُ يقول: المغنّيةُ لولو، كانت بطلةَ فلم البَهبَهانة، وقد قامت بدورِها من أوّلِ الفلمِ إلى آخرِهِ وهي بحذاءٍ أحمر، أو بحذاءٍ أصــفَر، أو بلا حذاء. (إياد يحدّق إلى المذيعــة حانقاً ويحكّ خدّه) إن كنت لا تعرفُ أو غيرَ متأكّد، فانسحبْ بخمسينَ ألفَ دينار. الانســحابُ أفضلُ من خســارةِ المرحلةِ كلِّها والعودةِ إلى ألفِ دينار.

إياد : أنــا لا أعرفُ الجوابَ ولا أريدُ أن أنســحب. وأنا غاضبٌ ومقهورٌ وسأنفجر.

المذيعة : طــوِّلْ بالَك. معــك خمســونَ ألفــاً فلماذا الغضب؟

إياد : لا أنــا ولا رفاقي ســمعنا بلولو ولا بالفلم ولا بالحذاء. هذا السؤالُ لكي أعجزَ وأخسرَ.

المذيعة : لا تظلمّنـــا يا إياد. لدينا لَجنةٌ علميّة تضـــعُ الأســـئلة، والكمبيوتر هو الذي يختارُ الأسئلةَ لكلِّ حلقة.

إياد : إذنْ أقول: المغنّيةُ مثّلَت حفيانة.

المذيعة : (بابتسامة خبيثة) أنت تغامرُ بهذا الجواب.

إياد : (بغضب) ما عادَ يهمّني شيء.

المذيعة : وجوابُكَ أنها حفيانة؟

إياد : (بإصرار) جوابي أنها كانت بلا حذاء.

المذيعة : جوابٌ غيرُ معقول.

إياد : (بلهجة اتّهام) لأنّ السؤالَ غيرُ معقول.

المذيعة : (وكأنهـــا تقول أنت مخطئ) وأنت غيرُ معقول. (تصمت للتشويق) وإجابتُكَ صحيحة. (ضربات موسيقية) إجابتُكَ صحيحةٌ ومئةُ ألف دينار. (موسيقا الذهب. الأميرة تُحضر كيساً ضخماً في عربة الأطفال وتحاول حمله إلى المنصّة فلا تقدر).

الأميرة : هل تحملُ كيسَ الذهب، أم تأخذُ بقيمتِه شيكاً تصرفُه من البنكِ بمليونَ دولار؟

إياد : آخذُ شيكاً بمليونِ دولار.

المذيعة : (تعطيه شيكاً) هذا شيكٌ بمليونِ دولار.

(إظلام مفاجئ وتستمرّ موسيقا الذهب)

المشهد الرابع

(بيت إياد مساءً)

(المسرح خالٍ تماماً. تدخل ديمة وتروي للجمهور تحت بقعة ضوء) .

ديمة : وبعدَ أن ربحَ إياد، تدفّقَ الناسُ علينا من كلّ مكان. ومعظمُهم كانوا يريدونَ أن يعرفوا

مـــاذا فعلَ أخي حتـــى قبلَـــهُ الكمبيوتر، لعلّ أبناءهم يكونونَ محظوظين. وكنّا نجدُ صعوبةً في إفهامِهم حقيقةَ هذه المسابقات، وإقناعِهم بخطورتِها.

وحـــين رجَعَ إيادٌ فاجأنا بالضربةِ القاضـــية: لقد اشـــترى بثروتِه كلِّها ألفَ سَـــهم من شركةٍ هاتفيّةٍ عالَميّة، وصـــارَ واحداً من عَشرةِ آلافِ شـــخصٍ يملكونَ الشركة. والضربةُ القاضيةُ كانت أنَّ شركتَه الضـــخمةَ المشهورة، هي التي تُموِّلُ مسابقةَ بحرِ الذهب. (تخرج)

(تســـطع الإضـــاءة، ويأتي إياد مـــن الداخل غاضـــباً يلاحقه أبوه وأمه موبّخَين، وخلفهما ديمـــة. الأم تحمل ظرفاً أنيقـــاً من الكرتون ذهبيّ الطباعة، عليه صـــورة ســـمّاعة هاتف وأحرف عربية).

الأم : يـــا أحمقُ يا أحمـــقُ يا كذّاب، أهكـــذا تتبرّعُ لفلسطين؟!

الأب : وكيف رضِـــيت أن تشـــتري حِصّـــةً في شركةٍ محتالة؟!

الأم : (ترفع الظرف) أبهذهِ الأسهمِ القذرة، (خابطة

الظرف بين يدي إياد) ستحاربُ القمارَ طولَ عمرِك؟!

إياد : لم أعرف أنّها تموّلُ المسابقةَ إلاّ بعدَ شراءِ الأسهم.

الأب : لِمَ لم تنتظر حتى تعودَ ونبحثَ المسألة؟ لِمَ لم تَتصلْ بنا وتشاورْنا؟

إياد : كنتُ مرتبكاً فنسيتُ أن أتصل.

الأم : بل تصرّفتَ كأنك لستَ منّا ولسنا أهلَك.

إياد : أنا لا أكذب. وأنتم لا تعرفونَ ماذا حدث.

الأب : ماذا حدثَ إذنْ؟ كيف خدعوكَ وأوقعوك؟

إياد : لم يخدعوني ولم يوقعوني بل احتفلوا وباركوا بالمليون. ثم نصحوني باستثماره كي يتزايد. وهنا بدأتُ أحسُب: لو تبرّعتُ بالمليونِ كلِّه فما نصيبُ الطفلِ في فلسطين؟ دولارٌ واحدٌ أو أقلّ؛ يعني: بينَ عشرينَ وخمسينَ ليرة. لكنْ إن استثمرتُ أموالي فسوف تتزايد، فأتبرّعُ من أرباحِها باستمرارٍ وبكثيرٍ كثير.. وبعدَ هذه الحساباتِ سألتُهم كيفَ أستثمرُ مالي، فأخذوني إلى البورصة.

الأم : (بحقد) طبعاً إلى البورصة..

إياد : هنـــاك دَلّوني على أشـــهَرِ الشركاتِ في الدنيا فاخـــتَرتُ هـــذه: (يشـــير بالظـــرف) شركـــة الاتصالاتِ الذهبيّة العالَمية. فروعُها منتشرةٌ في جميعِ الـــدولِ الأوروبّية، ومعظـــم الدولِ العربيـــةَ. وفَرعُها العربيُّ الذي اشـــتَريتُ من أســـهمه (يشـــير بالظرف) هو أربَحُ فروعِها كلِّها.

ديمة : طبعاً، بفضلِ مسابقةَ بحرِ الذهب.

(إياد يُعرِض عن سخرية أخته بصمت واستكبار)

الأم : وبعدَ أن عرفت حقيقتَها ماذا ستفعل؟

إياد : لن أفعلَ الآنَ أيَّ شـــيء. لكـــنْ في نهايةِ العامِ حينَ تُعلَـــنُ أرباحُ الشركة، سأســـحبُ أرباحيَ وأقسمُها نصفَين: نصفٌ لنا ونصفٌ للتبرّع.

ديمة : (مذكِّرة إياه بوعد سابق) بعدَ عامٍ إذنْ، وليس فوراً!

الأم : (مذكِّـــرة بالوعد ذاته) وليس بالمليونِ كلِّهِ كما وعدتَ قبلَ سفرِك!

إياد : قبـلَ ســـفـري كنـتُ متحمّســـاً فأخطأتُ في الحسابات.

الأب : والآنَ زالَت حماستُك وصحّحتَ الحسابات؟

إياد : اهــدأوا واســمعوا فتقتنعوا: مِن عــام واحدٍ تأسّــسَ الفرعُ العربيُّ لهــذه الشركة. وكانت أرباحُها تتزايدُ بسرعة هائلة، فصــارَ أغنياءُ العالَم يتســابقونَ إلى شــراءِ أســهمِها بأغلى الأثمَان، وكلٌّ منهم يزيدُ الســعرَ فيشــتري ثمّ يزيدُهُ فيبيعُ ويربح، حتى تضاعفَ ثمنُ السهم مئــةَ مرّة. وإن بقيَ الحالُ على هذا حتى آخرِ العام، فسوف تتضاعفُ قيمةُ أسهُمي مئةَ مرّة. وعندَها أعطيكم من أرباحِها مبالغَ ضــخمةً وأتبرّعُ بمِثلها، وتبقى أسهمي ثروةً هائلة.

الأب : هذا حسَابٌ خاطئٌ وسوف أصحّحُه؛ لا تعطنا شيئاً فنحن لن نقبل. وأجِّلْ تبرّعَكَ عاماً بعدَ آخَرَ ، واضمُمْ أرباحَكَ إلى رأسِ مالك، فتزدادُ ثروتُــكَ وتزدادُ بلا نهاية. وبعــدَ مئة عام أو مئتين أو تسعمئة، تتبرّعُ لفلسطينَ بكلِّ ثروتِك، فتكونُ أعظــمَ المتبرّعين في التاريــخ، وأكرمَ كُرماءِ العالَم.

إياد : (للجميع) مهما سَــخِرتم فســوف أتبرع. أنا وعدتُ ولن أتراجع.

ديمة : سوف تتراجعُ كلَّ مرّة.

الأم : لأنكَ صرتَ عبداً لمالك.

ديمة : والربحُ السريعُ صارَ همَّك.

إياد : إنكِ ضـــدّي في كلِّ شـــيء. وتغارينَ منّي لأنّي ربحتُ مليونَ دولار، وفي مسابقةٍ ثقافيّة.

ديمة : قيمةُ الإنسانِ ليست بمالِه. والثقافةُ معلوماتٌ نافعةٌ وليست حذاءَ لولو.

إياد : أنا ربحتُ فطِقّي وموتي.

الأب : (للولدين بقوّة) كفى مشاحَنة.

(الولدان يتبادلان نظرات التحدّي ثم يُطرقان)

الأم : اسمعْ يا إياد: هذا الوطنُ وطنُك، وفيه مجالاتٌ واسعةٌ تستثمرُ فيها المالَ بشكلٍ نافع: زراعةٌ أو صناعةٌ أو أيُّ عملٍ منتج، فتوفّرُ عملاً لبعضِ العمّالِ وتزيدُ خيراتِ وطنك.. وتربحُ وتتبرّع.

الأب : يجبُ أن تعلَمَ أيضاً، أنّ أسعارَ الأسهمِ تتصاعدُ بشكلٍ فوضويٍّ وتنهارُ بشكلٍ فوضويٍّ أيضاً.

ديمة : فاذهبْ مع أبيك على أوّلِ طائرة، وبِعْ أسهمَك للشركةِ نفسها .

الأب : (للجميع بلا حماسة) لا داعي. صارَ لدينا في دمشـــقَ بورصة. (ولإياد) هناكَ تبيعُ لِمن يدفعُ أكثر.

إياد : (بعد صمت) سأفعلُ كلَّ ما تريدون. لكنّ في السنة القادمة.

الأم : إذنْ أُقاطعكَ طولَ عُمري. (تجلس جانباً).

ديمة : وأنا أقاطعُك. (تجلس جانباً).

الأب : أمّا أنا فسأبقى أحاورك. وأكتفي الآنَ بسؤالٍ حانَ وقتُه: مَن الذين صنعوا إسرائيل؟

إياد : (وقد فوجئ) إسرائيل؟! صنعَها المستعمِرونَ اليهود.

الأب : بل صنعَها أغنى أغنياءِ العالَم مِن يهودٍ وغيرِ يهود. (يأخذ الأسهم ويشير بها) وهم الذين اخترعوا شراكةَ الأسهم العالَميّة. أمّا أبناؤهم وأحفادُهم فهم شركاؤكَ الآن.

إياد : (مستنكراً) أنا شريكُ إسرائيل؟!

الأب : ما دمتَ تملكُ هذه الأسهم، فأنت شريكٌ لإسرائيلَ ومَن معها ومَن خلفَها في العالَم كلِّه. وعليكَ أن تتذكَّر، أنّ إسرائيلَ خطرٌ لا يقتصرُ على فلسطين.

إياد : أعرفُ خطرَ إسرائيل.

الأب : إذنْ.. أنت مُخيَّرٌ بين أمرَين: إمّا أن تنتميَ إلى أمّتِك، أو إلى شركائك، (معطياً الأسهم

لإياد) أصحابِ الأســهُمِ العالَميّة. ففكّرْ وقرّرْ مصيرَك.

(ثم للجميع بعد لحظة) والآنَ سأسمعُ الأخبار، فلم أسمع اليومَ أيَّ خبر. أينَ جهازُ التحكّم؟

إياد : أبي، قبلَ الأخبارِ اسمَعني: سأبيعُ الأسهم.

(أهل إياد يندهشون وتنهض الأم وديمة)

الأم : (تهتــف) الآنَ اســتردَّ عقلَــه وضــميرَه. (ثم تعانقه).

الأب : الآنَ أنتَ ولدي. (يعانقه) ولدي الحقيقيّ.

ديمة : الآنَ أنتَ أخي. (تعانقه) أخي العظيمُ إياد.

الأب : والآنَ نســمعُ الأخبارَ وننامُ فــوراً، لنكونَ في دمشــقَ منذ الصــباح. (يأخذ جهاز التحكم ويكبس أزراراً فينبعث صوت المذيع)

المذيع : الخبرُ الأخير: مــا زالَ التنافسُ شــديداً بينَ شــركاتِ الاتصــالاتِ العالَميّة. وتلجــأُ كلٌّ من هذه الشركات، إلى تخفيضِ أســعارِ مكالَماتها تخفيضــاً متزايداً مســتمرّاً، كي تكسَبَ أكبرَ عــددٍ مــن المســتخدمينَ لخطوطهــا الثابتةِ والجوّالة. وقد أدّى هذا التنافسُ إلى خســائرَ ضــخمةٍ لبعضِ الشركات، ومنها فروعِ أوروبّا

لشركــة الاتصــالات الذهبيّة العالَميــة. (إياد ينظر إلى الظرف قلقاً) وقــد كانــت الفــروعُ المذكورة، تغطّي خســائرَها بقروض من أحد البنوك الأميركية. واليومَ أعلَنَ البنكُ أنّ ديونَهُ على تلك الفروع زادَت على قيمة الشركة كلِّها، فاستولى على كلّ ما تملكُهُ الشركةُ في العالَم كلِّه، من أموالٍ وأبنيةٍ وأجهزةٍ وأقمارٍ صناعيّة. كما أعلنَ أنه ألغى الشركة، وســوف يبيعُ أملاكَها مقابــلَ ديونه. (صــمت قصــير) وإليكم آخرَ أخبارِ الرياضة. (الأب يطفئ التلفزيون).

إياد : (مشــيراً إلى الظــرف وهو يــكاد يبكي) إنها شركتي، شركتــي.. هــذا يعنــي.. (يعجز عن إكمال العبارة).

الأم : يعني أنّ هذه الأسهمَ فقدَت كلَّ قيمتِها؛ صارَت لا شيء.

ديمة : وأنّ البنكَ استولى على كلِّ شيء.

الأم : وعليكَ أن تنسى كلّ شيء. (صمت. إياد يرمي الظرف جانباً ويقترب من أبيه).

إياد : (لأبيه دون انفعال) أنا لا أصــدِّقُ ما جرى، لا أصدِّق. هذا غيرُ معقول.

الأب : هذا هــو عالَمُ المال. يدخلُهُ الناسُ من أوســعِ أبوابِهِ وهو بابُ الأمــل، ويخرجونَ من أعلى نافذةٍ وهي نافذةُ الكارثة. فلا تأسفْ على ما مضــى وانظرْ إلى المستقبل. فكِّرْ مع الشرفاءِ والعقــلاءِ وتســاءل معهم : أيَّ عــالَمٍ نريدُ أن يكونَ هذا العالَمُ؟ وأيَّ وطنٍ نريدُ أن يكونَ هذا الوطن؟ وما مصــيــرُنا نحــنُ كلَّ العرب، إن لم نحرّر فلسطين؟

(يدخــل المعلنــون يرقصــون ويغنّــون فينضمّ إليهم إياد وأهله) .

أغنية الختام

نحنُ شبابُ الوطنِ الأجملْ وسنجعلُهُ أجمـــلَ أجمـــلْ
وطنـــاً حلـــواً كالبستانْ يغمـــرُهُ النـــورُ الفتّـــانْ
زهـــرٌ ثمـــرٌ حُـــبٌّ لَعِبُ عمَـــلٌ عَـــدلٌ علمٌ أدَبُ
أجمـــل مـــن كلِّ الأوطانْ أجمـــل مـــن كلِّ الأوطانْ

* * *

نحنُ شبابُ الوطنِ الأجملْ وسنجعلُهُ أجمـــلَ أجمـــلْ
بسواعدِنا سوف نحاربْ نطردُ كلَّ دخيلٍ غاصبْ
لتكـونَ الأرضُ العربيّـةْ وطـنَ العِـزّةِ والحـرّيةْ
أجمـــلَ مـــن كلِّ الأوطانْ أجمـــلَ مـــن كلِّ الأوطانْ

((تـمّـت))

الجائزة الثالثة

« عيـون الأطفـال »

مسرحية للأطفال

(للمرحلة العمرية ١٢ - ١٧ عام)

تأليف : هيسم جادو أبو سعيد
رسـوم : صباح كلا

الإهـداء

إلى كريـم...

الزهرة التي أهدتني أولى بشائر عطرها...

قبل أن تتفتح...

شخصيات مسرحية عيون الأطفال

فـــؤاد

هانـــي

وداد

خالـــد

فاديـــة

ماهـــر

مهنـــد

ســـناء

العم عادل المالل

المذيعـــة

قائد الجنـــد

جنـــدي ١

جنـــدي ٢

جنـــدي ٣

المشهد الأول

المكان: حديقة عامة فيها أشجار خضراء ومقاعد حمراء وبعض وسائل اللعب والتسلية...

يدخل الأطفال إلى المسرح وهم يضحكون ويلعبون بالكرة ويتراكضون خلف بعضهم بعضاً...

يقف فؤاد في وسط المسرح وينادي الأطفال كي يتجمعوا حوله:

فؤاد : هيا يا أصدقاء... سنبدأ اليوم بتنفيذ خطتنا...

هاني : أية خطة يا فؤاد؟!

وداد : هل نسيت يا هاني؟! ألم نتفق على أن نبني لنا عالماً خاصاً؟!

هاني : (وقد نسي الأمر تماماً) عالماً خاصاً؟! (يحك رأسه محاولاً أن يتذكر) نعم تذكرت! عالم الأطفال!

خالد : (وهو يمضغ طعاماً في فمه) ولكن لماذا نبني عالم الأطفال؟!

فؤاد : (مظهراً العصبية لهذه الأسئلة) ألم نناقش الأمر من قبل؟ (ثم ، موجهاً كلامه إلى بقية الأطفال) لماذا لا تخبرونه؟! بل لماذا لا تذكّرونه؟!

وداد : نريد ألّا يتدخل الكبار في شؤوننا...

فادية : نريد أن نلعب بسلام...

ماهر : نريد أن نحلم بسلام...

هاني : صحيح... صحيح... أنا موافق... (مظهراً الكسل والتذمر) ولكنّ بناء هذا العالم سيكون صعباً ومتعباً!

خالد : (باستياء، متابعاً تناول طعامه) وسنضطر للانقطاع عن الطعام من أجل العمل...

هاني : لماذا لا نلعب ونحلم هنا في هذه الحديقة؟!

خالد : نعم... نعم... فالمكان واسع وجميل... وفاتح للشهية...

وداد : ولكن هذا المكان، كما قلت لكم، مليء بالكبار الذين سيتدخلون في كل شؤوننا!

(يأخذ الأطفال أدوار الكبار... يمكن استخدام قطع من الثياب لإظهار تغير الشخصية، ويمكن أن تلعب الإضاءة دوراً في هذا).

سناء : (تأخذ دور أم هاني) لا تسرع يا هاني كي لا تتعثر...

ماهر : (مازحاً) لا تسرع يا بابا نحن بانتظارك...

(يضحك الأطفال، بينما يركض هاني بتثاقل ويقول) :

هاني : حاضر يا ماما حاضر... (ثم يتعثر ويسقط).

مهند : إن هاني لا يسرع، لكنه يتعثر...

(يضحك الجميع ومعهم هاني الذي يُظهر الخجل).

وداد : (تقلد أم فادية) وأنت يا فادية... لا تعبثي بأدوات المطبخ، ستكسرين الأنية...

فادية : (باستنكار) حاضر يا ماما حاضر... ولكن كيف سأعدّ الطعام لدميتي الجائعة ؟! اسمعوا، إنها تبكي!

(يسمع الأطفال صوت بكاء طفلة صغيرة).

مهند : (يقلد والد فؤاد) انتبه يا فؤاد! لا تلوث نفسك بالطين!

فؤاد : ولكنني أريد أن أبني قصراً للأطفال يلهون فيه!

مهند : دعك من هذا... فثيابك جديدة!

فؤاد : تعرفون؟! صرت أتمنى ألّا أرتدي ثياباً جديدة لكثرة الممنوعات التي تتلو ارتدائي لها... لا تجلس هكذا يا فؤاد... لا تستلقِ هكذا يا فؤاد... لا تلمس ثيابك الجديدة بيديك الملوثتين... لا... لا... واللعب بالطين! كم أتمنى التمرغ بالطين الآن! أشعر أن التمرغ بالطين يشبه الوصول إلى المريخ!

خالد : (يقلد والد ماهر) ماذا يـــا ماهر؟! أما زلت تحلم بالطيران؟! إياك أن تحاول مثل هذه الحماقة وإلا ستكسر عنقك!!

ماهر : حاضـــر يا بابا حاضر... بربكم... هل يمكن لمن... يملك أجنحة كأجنحتي أن يســـقط ويكسر عنقه؟! (يحرك يديه كالأجنحة)

سناء : (تقلـــد أم مهند) وأنت يا مهنـــد... إياك أن تلوث الدنيا بالألوان...

مهند : حاضر يا ماما حاضر... هل لديكم طريقة تســـمح لي بالرسم دون ألوان؟! هل يعقل هذا؟!

الأطفال معاً: عـــد إلى المنزل فـــوراً... فالقيود جاهزة لتوضـــع في يديـــك وقدميك وعنقك، حتى تنهي فروضـــك المدرسية!

ماهر : مهلاً... مهلاً... ألا ينبغي حقّاً أن ننهي فروضـــنا المدرسية؟!

هاني : (بعصـــبية) ينبغي يا أخي ينبغي... لكننا نريد أن نتنفس أيضاً! (يأخذ نفساً).

خالد : ونريد تناول طعامنا على راحتنا...

فادية : هل فهمت الآن لماذا نريد عالماً خاصاً؟!

فؤاد : وعالمنا سيكون خالياً من الطائرات المقاتلة!

وداد : ستكون فيه طائرات شراعية رائعة!

مهند : يا سلام...

فادية : وطائرات سياحية...

ماهر : لن يكون فيه تلوث بيئي...

سناء : سيكون خالياً من القنابل ودويّها...

مهند : ألن تكون فيه ألعاب نارية ملونة؟!

فؤاد : بلى ستكون... لكن... لنفرحَ بجمالها وألوانها، لا لنكتوي بنيرانها!

سناء : وسنغني فيه جميعاً...

خالد : سيكون عالماً فيه طعام لجميع الأطفال (يربت على بطنه ويضحك الأطفال).

ماهر : هذا أكثر ما يهمك يا خالد...

وداد : وثياب لجميع الأطفال...

فادية : وكتب ومدارس...

هاني : سيكون بلا رياضيات...

(يضحك الأطفال)

ماهر : بل سيكون فيه رياضيات وعلوم وأدب، لكنه سيكون خالياً من العصا التي تفرض علينا التعلم بالقوة لتجعلنا نشعر بالخوف والكره لما نتعلم!

هاني : (يمسح رقبته بيده كأن أحداً ضربه) نعم... نعم... عندها سأتعلم الرياضيات بمنتهى السهولة...

فؤاد : دعونا من هذا الشرح المطوّل الآن... ألم نتفق بالأمس؟! فلنبدأ الآن ببناء عالمنا... ماذا تقترحون؟!

ماهر : كي لا يدخل عالمنا أحد من غير الأطفال يجب أن... يكونَ له سور عال...

وداد : فلنبدأ ببناء السور إذاً!

سناء : لكن السور الذي سيمنع الآخرين من الدخول إلى عالمنا، سيمنعنا من الخروج منه يا ماهر! ألا ينبغي أن نعود إلى أهلنا وعالمهم بعد انتهائنا من اللعب؟!

فؤاد : لن يمنعنا السور من الخروج... فنحن الأطفالَ لا نبني أسواراً كأسوار الكبار ياسناء!

سناء : وكيف تكون أسوارنا؟!

فؤاد : نستطيع الخروج متى نشاء، ولا يستطيع الآخرون الدخول إلينا!

هاني : وكيف هذا؟!

ماهر : مثل الدسام...

خالد : مثل ماذا؟!

فادية : الدسام يا فهمان... ألا تذكر درس العلوم؟!

هاني : درس العلوم؟! (يحك رأســه) آ... نعم... لكنني لا أتذكر الدسام!

ماهر : إنه بوابة تسمح بخروج الدم من القلب إلى الشرايين، ولا تسمح بعودته إلى القلب...

هاني : نعم فهمت... ولكن كيف؟!

سناء : تعال لنريك كيف... (ينضم إليها مهند ليساعدها، فيضعان يديهما بموازاة الأرض بشكل ٨).

ماهر : (مخاطباً هاني) والآن حاول المرور من هنا...
(ويشير إلى الجهة الواسعة، فيمر هاني بين الطفلين وتنفتح يداهما بسهولة).

هاني : هذا رائع...

ماهر : والآن حاول المرور من الجهة المعاكسة...
(يحاول هاني المرور بين سناء ومهند من جهة التقاء يديهما، فيصطدم بقبضتيهما).

هاني : لم تنجح المحاولة... سأحاول ثانية...
(يحاول ثانية لكنه يصــطدم مرة أخرى بقبضتَي سناء ومهند).

سناء : هل فهمت الآن يا هاني؟ هذا هو الدسام...

مهند : لكن سوراً كالدسام سيسمح لنا بالخروج ولن يسمح لنا بالدخول ثانية!! سيمنعنا كما يمنع الآخرين!

فؤاد : لنقل بأنه... (يفكر) غربال... يسمح لنا نحن الصغار بالمرور عبره في الاتجاهين، ولا يسمح لأحد غيرنا... ويسمح لنا برؤية العالم كله عبره ولكن بشكل مختلف عما هو!

مهند : ألن يكون لهذا السور حراسه، مثل أسوار القلاع التي نشاهدها في التلفاز؟!

فؤاد : كلنا سنكون حراس عالم الأطفال...

فادية : هذا رائع... فلنباشر بناء عالمنا فوراً.

(يبدؤون العمل في جهة من المسرح لبناء السور بشكل إيمائي، وتخفت الإضاءة ليدخل من الجهة الأخرى رجل مصحوباً بأصواتِ تحطّم وشجار وصراخ... يمشي الرجل متثاقلاً وهو يبكي قبل أن يشاهد الأطفال وهم يلعبون بفرح).

عادل : أنا حزين... أنا حزين و «مالل»! كل مكان أذهب إليه أجد فيه من يرفع صوته في وجهي! (يقلد) لماذا لا تفعل هذا يا عادل؟! لماذا تخطئ في هذا يا عادل؟! وأجد من يرفع قبضته ويهزها (يرفع قبضته ويهزها) ليهددني... سنطردك من العمل!

سـنطردك من الشقة التي تستأجرها! والديون... الكل يلاحقونني طالبين مني أن أسدد الديون! حتى زوجتي في البيت... (يقلدها) هل أحضرت الزيت يا رجل البيت؟ هل اشتريت البطيخ يا حبيبي؟ هل اشتريت لي فستان السهرة؟ والأولاد ... يا عيني على الأولاد! (يقلدهم) بابـا ... «بدنا» دفاتر... بابا ... بدنا ثياب... بدنا «أكياس بطاطا»! كيف أتصرف؟! لقد مللت، وصـار العالم من حـولي باهتاً، وطعمه صار مراً!! (يشـاهد الأطفال يلعبون ويضحكون) آه... كم أحسـدكم! ما الـذي يدفعكم إلى كل هذا الضـحك؟! (يحاول الاقتراب منهم للاطلاع على مـا يفعلون أثناء انهماكهم في بناء عالمهم وسـوره) صـدق من قال: «الأطفال لا هـمّ دنيا ولا عذاب آخرة!» آه... كم أتمنـى الآن لو كنت طفلاً! لكنت شـاركتهم في لعبهم وضحكهم ونسيت كل همومي! علـى الأقل هـم لديهم حقوق ولديهـم من يدافع عنهم وعنها ... بالأمس شـاهدت في التلفاز رجلاً يرتدي «بدلة» رسـمية ويضـع ربطـة عنق ملونة متفائلة ، ويتحدث عن الأطفال ولطفهم وشهامتهم وطيبتهـم وبراءتهم ، وعن حقوقهم! تصـوروا ...

الأطفال صـــار لهـــم حقوق ، وصـــار هناك رجال متأنقـــون يشـــغلون محطات التلفزة ســـاعات وهم يدافعون عن هـــذه الحقوق! أما أنا... فمن يدافع عن حقوقي؟! من يدللنـــي؟! من يربت على كتفي ليقول لي: نحن معك فلا تيأس؟!

(تعلو أصوات الأطفال فتُنَبّه الرجل)

عادل : سأقترب قليلاً لأعرف ما يفعلون...

(يتقـــدم نحوهم محاولاً عدم إثارة الضـــجة، لكنه يصـــطدم بالســـور غير المرئي الذي بناه الأطفال فيقـــع، ثم ينهض ويعود إلى تلمّس الســـور بشـــكل إيمائي غير مصدق لما حدث).

عادل : غـــير معقول! ما الذي حصـــل معـــي؟ لا بد أنني أتوهم! سأحاول ثانية...

(يتقدم بكل جســـده لكنه يصـــطدم بالسور ثانية ويبدي مزيداً من الدهشة... وينتبه إليه الأطفال)

فؤاد : انظروا يا أصدقاء... هنالك رجل يحاول التسلل... فلنتصرف...

(يخرج الأطفال من عالمهم عبر السور ويحاصرون الرجل المتسلل) .

فؤاد : لا تتحرك... (ويضع يده خلف الرجل كأنه يصوّب مسدساً، فيرفع الرجل يديه مستسلماً).

عادل : (بخوف) يا لطيف... يا ستّار استرْ...

ماهر : من أنت؟! وماذا تريد؟!

عادل : أأ... أأ... أأنا...

مهند : تكلم...

(ويضحك الأطفال وهم يكملون لعبتهم)

عادل : أأأنا عادل... عادل المالل...

سناء : لماذا تحاول التسلل إلى عالمنا؟!

عادل : كنت فقط أحاول التعرف إلى ما يضحككم! (يكلم نفسه) هكذا دائماً... كلما هربت من مشكلة أوقع نفسي في مشكلة جديدة!

وداد : ولماذا تريد التعرف إلى ما يضحكنا؟!

عادل : (بحـــزن) لأنني أريد أن أضـــحك... أريد أن أعود طفلاً وأن...

خالد : أن ماذا؟!

عادل : سمعت عن حقوق الأطفال! أريد حقوقاً مثلهم!

فؤاد : ومن أين سمعت عن هذه الحقوق؟

عادل : من التلفاز.

مهند : وهل تصدق كل ما تسمع؟!

فؤاد : ألم تشاهد في التلفاز نفسه الأطفال وهم يُقتَلون؟!

فادية : ألم تشـــاهدهم وهم يموتـــون في مجاعة، أو يموتون برداً لنومهم في العراء؟!

سناء : ألم تشـــاهدهم يُجبَرون على القيام بأعمال شـــاقة تنوء أجسادهم الطرية تحت ثقلها؟!

ماهر : يبـــدو أنكم - أنتم الكبار - تتأثـــرون كثيراً بأخبار الفضائيات!

فادية : ويجب أن نضع - نحن الصغار - خطة لتلافي هذه الآثار السلبية على الكبار من حولنا...

هاني : يا حبيبـــي... مزيدٌ مِنَ الخطط يعنـــي مزيداً مِنَ العمل...

عادل : أرجوكم... هل سأبقى هكذا طويلاً؟! ألن تدعوني أمضي في سلام؟!

خالد : هكذا ببساطة؟!

فؤاد : أنزل يديك... سنقوم ببعض المشاورات أولاً...

(يلتف الأطفال حول بعضهم ويبدؤون بالتشاور)

مهند : والآن... ماذا سنفعل بهذا الرجل؟!

سناء : ببساطة سنحذره من محاولة التسلل ثانية، وسندعه يذهب في سبيله...

فادية : لكنه رجل مسكين!

هاني : وماذا تعنين بهذا يا فادية؟!

فادية : لماذا لا نحاول مساعدته؟!

خالد : مساعدته؟! كيف؟!

فادية : نجعله يضحك...

سناء : كيف؟!

فادية : ندخله إلى عالم الأطفال...

وداد : لكننا اتفقنا على أن عالم الأطفال خاص بنا، ولن نسمح لأحد من الكبار بدخوله!

فادية : كنا نريد أن نتجنب تدخل الكبار في حياتنا، لكنهم كثيراً ما يتدخلون بشكل جيد! فلماذا نحرمهم فرصة السعادة معنا ونحرم أنفسنا من المساعدة التي يمكن أن يقدموها لنا؟!

فؤاد : هذا صحيح... ألا تعتني أمنا بنظافتنا وصحتنا؟!

مهند : ألا يسهرون على راحتنا عندما نمرض؟!

سناء : ألا يشاركنا آباؤنا اللعب والمرح والغناء؟!

خالد : ويجلبون لنا ما نطلب من طعام وفاكهة...

وداد : هذا صحيح... هذا صحيح... ولكن أخيراً ماذا سنفعل؟!

فادية : أعتقد أنه إذا احتاج أحدهم مساعدة ما فيجب أن نساعده...

مهند : نعم... فنحن لسنا أشراراً...

سناء : نحن أطفال...

فؤاد : معكـــم حق... فنحن أولاً وأخيراً أطفال، والأطفال طيبون...

مجموعة من الأطفال : والأطفال مسالمون...

مجموعة ثانية : والأطفال متسامحون...

فادية : إذاً فلنساعد هذا الرجل...

(يعودون إلى الرجل فرحين فيستقبلهم بلهفة).

عادل : ها... ماذا قررتم؟

فؤاد : سنسمح لك بالانضمام إلينا يا عمّ عادل.

وداد : وسندخلك عالمنا...

عادل : عالمكم؟! وهل للأطفال عالم؟!

ماهر : بالتأكيد... ألم تكن طفلاً من قبل؟!

عادل : هه... بلى، كنت طفلاً، لكنني لا أتذكر شيئاً من عالم الأطفال... لم يكن لنا حقوقٌ في ذاك الحين...

وداد : الآن عندما تدخل عالمنا قد تتذكر شـــيئاً من عالم الأطفال.

مهند : فلنفتح بوابة في السور كي نسمح له بالدخول...
(يبدأ الأطفال بالتحرك كأنهم يفتحون بوابة ويُسمع صوت البوابة، بينما يتساءل عادل).

عادل : بوابة ؟! سور؟! هل أنا صاح حقاً؟!

سناء : والآن تفضل... (يدخل بهدوء وتتغير الإضاءة)

عادل : أشعر أن شيئاً ما قد تغير، رغم أنني لا زلت في مكاني!

فؤاد : أخبرنا... بماذا تشعر؟!

عادل : أشعر أنني سعيد... أريد أن أركض... أريد أن ألعب...
(يبدأ بالدوران والحركة بطريقة انسيابية راقصة مع صوت موسيقى بعيدة) أريد أن أضحك...

مهند : وكيف ترى الأشياء؟!

عادل : الأشياء؟! لا أعرف! تبدو غريبة بعض الشيء! أشعر أنني أراها أول مرة... أشعر أنني لا أتذكرها...

ماهر : هل تعرف هذا الشيء؟!
(يمكن استخدام جهاز إسقاط ضوئي لإظهار الأشكال على شاشة بيضاء، وتكون أولى هذه الأشكال دراجة هوائية) .

عادل : هذه... هذه... دعوني أتذكر... أنا أعرفها جيداً... اسمها على رأس لساني! لا أعرف لماذا نسيتها!!

وداد : إنها لغة الكبار... قتلت لغة الأطفال لديك! فهم لا يستخدمون إلا ما يحقق لهم الفائدة...

عادل : نعم... نعم تذكرت... إنها دراجة...

الجميع : ماذا تقول؟! هذه دراجة؟!

خالد : ألا تستطيع أن تراها شيئاً آخر؟ فطيرة مثلاً؟!

(ينظر عادل ويطيل النظر إلى الصورة ثم يهز كتفيه)

عادل : لا... وماذا يمكن أن تكون غير دراجة؟!

وداد : طيب... ما هذه إذاً؟

(تظهر على الشاشة صورة غيمة)

عادل : (يضحك) لا بد أنكم تمزحون! هذه مجرد غيمة...

مهند : غيمـــة؟! وليس هذا فحســـب... (يقلد عادل) إنها مجرد غيمة!

خالد : والآن... ما هذا؟!

(تظهر صورة صخرة).

عادل : هـــل تحاولون أن تهـــزؤوا بي أيها الصـــغار؟! إنها صخرة... نعم... مجرد صخرة...

ماهر : هل تلاحظون؟ هنالك حقاً مشكلة ما...

عادل : مشكلة؟! ما هي؟!

فؤاد : دعنا نناقش الأمر أولاً...

(يجتمع الأطفال)

ماهر : هنالك مشكلة حقاً... فهذا الفيل عند العم عادل مجرد غيمة!

هاني : وهذه القلعة التي خضنا المعارك الضارية لاستعادتها من أعدائنا، والتي نتفيّأ ظلالها في أيام الحر مجرد صخرة!

ماهر : وطائرتي يظنها دراجة! تصوروا! كيف يمكنكم أن تروا هذا الشيء مجرد دراجة؟! كيف يمكنكم ألّا تروه طائرة؟!

سناء : فقط إذا لم يكن طائرة!!

(يضحك الجميع).

هاني : لا... لا... لدي احتمال آخر...

خالد : وما هو يا هاني؟!

هاني : أن أكون بلا عينين!

وداد : عندها لن تراه على الإطلاق... لا طائرة ولا دراجة ولا حتى عَجَلة...

(يضحك الأطفال).

ماهر : مهلاً.. مهلاً.. (يُظهر الفرح والدهشة لاكتشافه)

فؤاد : ماذا؟! هل وجدت حلاً لمشكلتنا يا ماهر؟!

ماهر : بل وجده هاني...

خالد : (بغيرة) وكيف وجده هاني؟!

ماهر : إذا فقد أحدنا عينيه فلن يرى الطائرةَ طائرةً!

سناء : هذا صحيح... فأين الحل إذاً؟!

ماهر : العم عـادل فَقَد عينيه اللتـين كان يمكن أن يرى بهما ما نرى، فهو لم يعد طفلاً مثلنا!

هاني : إنها حقاً فكرة عجيبة!! هل أنا حقاً من توصل إلى هذه الفكرة يا جماعة؟!

هاني : لهذا سنعطي العم عادل أعيننا ليرى بها ما نرى!

فؤاد : فكرة رائعة...

فاديا : فلننفذها فوراً...

(يعودون إلى الرجل)

فادية : يـا عـم عـادل.. تعـال.. فقـد وجـدنا طريقة لمساعدتك..

عادل : وما هي؟!

مهند : سنعطيك أعيننا...

(تظهر على عادل الدهشة وعدم التصديق)

عادل : وستبقون بدونها؟! لا... لا... مستحيل...

فؤاد : وهذا أيضاً شيء جديد لا تعرفه عن الأطفال...

وداد : فللأطفال قدرتهم على امتلاك العيون التي يريدون في أي وقت!

عادل : ولكن... لماذا؟!

سناء : حتى يروا الأشـــياء نفسها بأشـــكال جديدة وألوان جديدة!

ماهر : صحيح... فكم ســـتكون الحياة مملة إذا اقتصرت على ما يوجد فيها!!

عادل : وهل تستطيعون حقاً أن تعطوني عيونكم؟!

فادية : بالتأكيد... وسترى...

(يجتمع الأطفـــال في حركة إيمائية ويتقدمون من عادل ويحيطون به حتى يختفي بينهم، ثم يتفرقون ويقف عادل وهو ينظر حوله بدهشة) .

خالد : والآن... ما رأيك؟!

عادل : يا الله... ما أروع العالم وما أجمله!!

مهند : ماذا ترى؟ أخبرنا...

عادل : (يتلمس الأشياء) هل هذه نفس الألوان؟! لا يمكن أن أصدق!! (يلمس أوراق شجرة) هذا الأخضر... ما أخضره!! وهذا المقعد الأحمر... ما أحمره!!

(يضحك الأطفال)

فؤاد : ها قد بدلنا عينيه... فهل نستطيع تبديل لغته كي يتوقف عن مثل هذه الأخطاء؟!

هاني : أخطاء؟! أية أخطاء؟!

وداد : «مـــا أخضره» يا فهمـــان... لا يمكن التعجب بهذه الصيغة!

هاني : نعم... نعم... تذكرت... هذا صحيح...

خالد : فما هذا إذاً يا عم عادل؟! هل يمكنك الآن أن تراه شـــيئاً مختلفاً عما رأيته منذ قليل؟! (يشـــير خالد للدراجة من جديد).

عادل : هذه؟! هل قلتم إنها طائرة؟! ألا تبخســـونها حقها بهذا؟! إنها ليســـت مجـــرد طائرة... إنها بســـاط الريح... اسمحوا لي أن أمتطي الريح...

(تظهـــر دراجة فجأة على المسرح وكأن خيال عادل أوجدهـــا، فيركبها ويدور بها على المسرح ســـعيداً والأطفال يفرّون أمامه ضاحكين).

عادل : أنا أمتطي الريح... أين أنت يا أمي لتري ابنك على بساط الريح...

ستارة

المشهد الثاني

المكان : منزل فؤاد ، يظهر فيه مقاعد وطاولة صغيرة...

يرن جرس الباب فيتوجه فؤاد لفتح الباب ويدخل الأطفال مسلّمين على فؤاد...

فؤاد : أهلاً وسهلاً بالأصدقاء...

وداد : أهلاً بك يا فؤاد... ولكن لماذا اتصلت بنا ودعوتنا لزيارتك في المنزل بدلاً من الذهاب للعب في الحديقة؟!

فؤاد : ألم تسمعوا بالخبر؟!

وداد : أي خبر؟!

فؤاد : سيظهر اليوم العم عادل على شاشة التلفاز.

فادية : وما المناسبة يا ترى؟!

مهند : (مازحاً) لا بد أنه سيمثل دوراً في الصور المتحركة...

(يضحك الأطفال)

سناء : بل سيؤدي إعلاناً لشامبو الأطفال...

خالد : ربما كان إعلاناً عن نوع جديد من الحلوى...

وداد : لماذا لا تَدَعونا نفهم الموضوع؟ ليس هذا وقت المزاح...

فؤاد : قالوا في الإعلان إنها مقابلة مع شاعر كبير!

خالد : شـــاعر كبير؟! يا سلام... صرنا أصـــدقاء لشاعر كبير يظهر على التلفاز! ســـيفرح أبي كثيراً عندما يعلم بهذا...

سناء : هـــل ترون هـــذا الأمر أقل مزاحاً ممـــا قلناه قبل قليل؟!

فؤاد : (ينظر إلى الساعة) هذا موعد المقابلة، فلنشاهدها معاً...

ماهر : نعم فلنشاهدها... أين جهاز التحكم؟

هاني : إنه معي... هذا الجهاز رائع، فهو يوفر عليَّ كثيراً مـــن الجهد... (ينـــاول الجهاز لفـــؤاد الذي يقوم بتشـــغيل جهاز التلفزيـــون، فينفتح إطار كبير على المسرح يمثل جهاز التلفاز، وتظهر للحظات راقصةٌ ترقص وتغني).

الراقصة : أخاصمك آه... أسيبك لا...

(ثـــم تظهر مذيعـــة بثياب رســـمية ونظارات على عينيها لتركض خلف الراقصة وتطردها كي تأخذ مكانها على الشاشة... ثم تبدأ بالتكلم على طريقة مذيعي الأخبار بصوت مرتفع حاد وبالتشديد على أواخر الكلمات).

المذيعة : أيها السادة المشاهدون... حرصاً من محطتنا على تقديم البرامج الهادفة والمفيدة وعلى طرد أنواع البرامج المبتذلة (تشير برأسها إلى الجهة التي خرجت منها الراقصة) نقدم لكم فيما يلي مقابلة مع الشاعر الكبير عادل المالل...

(يصفق الأطفال ويدخل عادل إلى شاشة التلفاز متردداً متطلعاً حوله، ثم ينظر عبر الشاشة ويلوّح بيده).

عادل : أمي... هذا أنا عادل يا أمي... هذا أنا يا أولاد... هل ترونني؟

(ترمقه المذيعة بنظرة غاضبة وتدفعه للجلوس على الكرسي وتجلس قبالته بينما يضحك الأطفال).

المذيعة : أستاذ عادل...

(يشير من جديد ويلوّح للشاشة)

عادل : أستاذ... أستاذ... تقصدني أنا...

المذيعة : (تكرر بحزم لإسكاته) أستاذ عادل... هل تخبرنا متى بدأت تجربتك الشعرية؟

عادل : (يظهر الوقار) نعم... نعم... بدأت منذ فترة قصيرة... مذ تعرفت على الأط... (يستدرك)

أُووووه... أقصـــد منذ فترة طويلة... طويلة جداً...
(يفكر) منذ نعومة ضفائري!

المذيعة : تقصد منذ نعومة أظفارك...

عادل : أجل... أجل... هذا ما أقصده...

مهند : لكنه لم يكتب الشعر في حياته!

فؤاد : بل كتبه بعد أن تعرف إلينا ودخل عالمنا...

خالد : كيف؟!

وداد : دعونا نتابع الآن وسنتحدث فيما بعد...

المذيعة : هل يمكنك يا أســتاذ عادل أن تخبرنا عن فلسفتك في الحياة؟! تلك الفلســفة التي وصلت بك إلى ما أنت عليه الآن...

عادل : فلفسة؟!! لم أفهم ما تعنين!

المذيعة : قصدت : القاعدة... الحكمة... المقولة التي تتبعها وتطبقها لتظل على هذا المستوى من التألق...

عادل : الحكمة... نعم فهمت... لا أعرف لماذا تصرون على استخدام مثل هذه الكلمات الغريبة في أحاديثكم!! دبولوجيا... عطالوجيا... وفلفســة... استخدموا الكلمات العربية البســيطة يا عمي... كي نفهمها فقط... ســألتِني عن حكمتي في الحياة... إنها...

(يفكـــر) الباب اللي بيجيك منّـــو الريح ولا عشرة على الشجرة!

المذيعة : أستاذ عادل... ركّز معي أرجوك... (تتوجه بكلامها إلى الجمهور) سيداتي وسادتي الأستاذ عادل يحب المزاح كما ترون، وســيحدثنا بجدّيــة أكبر الآن... اتفقنا يا أستاذ عادل؟!

عادل : جديــة؟! يبــدو أنني أخطــأت... نعــم... نعم... جدية... (يفكر) حكمة وجدية... حكمة وجدية... (بفــرح) وجدتها... إنها حكمــة جارنا الطيب في الحارة بياع الفلافل : نحن محكومون بالملل!

المذيعة : تقصد بالأمل...

عادل : آسف... أنا حقاً آســف... إنها العادة فقط، فقد أســموني عادل المالل لكثرة تكــراري لهذه الكلمة! أقصــد ما قلتــه: نحن محكومــون بالأمل... هذا جيد... أليس كذلك؟!

سناء : ها هو ذا يخطئ...

هاني : وما الخطأ الذي ارتكبه يا سناء؟!

سناء : هذه المقولة للأديب الكبير سعد الله ونوس، وليست لصديقه بياع الفلافل!

هاني : ومن هو سعد الله ونوس؟!

سناء : وأنت أيضـــاً لا تعرفه يا هاني؟! إنه كاتب مسرحي ســـوري كبير... تصـــوروا أنه قال عبارته المشهورة تلك وهو يعاني المرض العضـــال في الأيام الأخيرة من حياته!

فؤاد : والأستاذ عادل جعل المقولة لصديقه بياع الفلافل! كيـــف يمكن لمـــن لم يقـــرأ كتابـــاً يوماً أن يصـــبح شاعراً؟!

مهند : على الأقل بياع الفلافل قد يقرأ قصاصات الأوراق التي يلف بها الساندويش...

خالد : ألم تعرف يا مهند؟! لقد أصبحت هذه القصاصات أيضاً ممنوعة، لأن الحبر يلوث الطعام...

ماهر : فلنستمعْ من جديد...

المذيعة : هل تخبرنا يا أستاذ عن أهم ما يشحذ موهبتك في كتابة الشعر؟

عادل : (يبدو مرتبكاً) في الحقيقة لم أصادف أحداً يشحذ اليوم، فقد وصلت إلى التلفزيون باكراً.

المذيعة : (متذمرة بعصبية) قصـــدت يا أستاذ السؤال عمّا يُغني موهبتك الشعرية... مايقوّيها... ما...
(وتحاول الإشـــارة بيديها لإفهامه وهو ينظر إليها ببلاهة).

فادية : انظـــروا .. إنــه في مـأزق.. (تنهض فادية وتدخل التلفـزيون وتمسـك بيـد عـادل) يـا عـم عـادل.. أقصـــد يا أستاذ عادل... السيدة تقصد: ما الذي جعلك تكتب الشـــعر؟ كيف صرت شـــاعراً يعني؟! فتّح مخك يا عمي...

عادل : فهمت... شكراً يا فادية...

(تخرج فادية من الشاشة وينتبه عادل لهذا)

عادل : هيه... انتظري... كيف وصلت إلى هنا؟! (يحاول النهوض للحاق بها فتقبض عليه المذيعة) .

المذيعة : أرجوك يا سيد عادل... نحن على الهواء، ولم ننته بعد!

عادل : على الهواء؟! (وينظر تحته متمسكاً بالكرسي بقوة خوفاً من أن يسقط) طيب... طيب...

المذيعة : أعزائي المشاهدين ، نعتذر لهذا الخلل الفني ونتابع حديثنا مع الشاعر...

عادل : نعم... كنت تســـألينني عن... لا أعرف... المهم... موهبتي الشعرية العظيمة سببها عيناي! فإن لدي عينين عجيبتين!

المذيعة : هل يمكن أن توضح؟!

عادل : (بارتباك) أوضح؟! نعم... انظري...

(تظهر على اللوحة البيضاء صورة غيمة)

عادل : ماذا ترين؟!

المذيعة : أرى غيمة!

عادل : أترين؟! عينـــاك عاديتان، أما عينـــاي العجيبتان فتريان سمكة!

المذيعة : (بدهشة) حقاً غريب!

عادل : والآن ماهذا؟

المذيعة : إنها دراجة!

عادل : وهذا أيضاً غير صحيح، فهذا صاروخ! وأنا نفسي ذهبت بهذا الصاروخ إلى عديدٍ من الكواكب...

(تظهر المذيعة مزيداً من الدهشة)

عادل : بهاتين العينين صرت شاعراً كبيراً كما ترين! لتكون شاعراً كبيراً يجب أن ترى الأشياء بغير الشكل الذي يراها عليه الآخرون، وأن تعبر عما تراه ببســاطة ووضوح... عندها ســيكون ما تقوله جميلاً حتماً

(ينفخ نفسه ويشد صدره للأمام)

ماهر : يا سلام... يا سلام... هل سمعتم هذه الجواهر؟!

المذيعة : وهل يمكن أن تخبرنا من أين حصــلت على هاتين العينين يا أستاذ عادل؟!

عادل : (بغضب) ما الذي تعنينه؟! أتعنين أن أحداً ما أعطاني عينيّ هاتين؟! هذا مستحيل... إنهما عيناي أنا أصلاً... أنا طورتهما بنفسي... بخيالي... بموهبتي... بمطالعتي...

(تحاول المذيعة تهدئته)

المذيعة : حسناً... حسناً... فهمت... أرجوك أن تهدأ، فأنا لم أقصد الإساءة.

ماهر : أي خيال إن كان يرى طائرتي مجرد دراجة؟!

مهند : وأية موهبة إن كان أسلوبه في التعجب: ما أخضره وما أحمره؟!

سناء : وأية مطالعة إن كان لم يسمع بسعد الله ونوس؟!

عادل : ولا تنسَيْ... فهذا الصاروخ قد يتحول في أية لحظة إلى شيء آخر لا يمكن أن يخطر في بالك!

المذيعة : كيف؟!

عادل : بكل بساطة... فقط أقوم بتغيير عينيّ فيتغير ما أرى!

المذيعة : (بدهشة) تغيير عينيك؟! مستحيل...

عادل : ليس مستحيلاً إطلاقاً... إنه... (يفكر) مثل تبديل النظارة! هل ترين هذا صعباً؟! ألم أقل لك إن عينيّ عجيبتان؟!

فؤاد : هـــل رأيتـم؟! إنه ينكـر مرة ثانية أن العيون التي بحوزته هي عيوننا نحن!

وداد : أهكذا يتصرف الأصدقاء يا عم عادل؟!

ماهر : هل ستسمحون له بالتمادي في كذبه هذا؟!

مهند : لا... يجب ألّا نسمح له بهذا... ولكن كيف؟

فؤاد : ببساطة... سنسترجع عيوننا!

سناء : ولن نسمح له بالدخول إلى عالمنا ثانية...

فؤاد : هيا... فلنبدأ فوراً...

(يهجم الأطفال نحو الشاشـــة ويدخلون ليحيطوا بعادل، بينما تتجه وداد نحو المذيعة).

وداد : بعد إذنك... هنالك أمر علينا تســويته مع الأستاذ عادل المالــل... (ثم تتجه نحو عادل وتنضـــم إلى الأطفال، بينما تأخذ المذيعة بالصراخ والتساؤل).

المذيعة : ماهذا؟! ما الذي يجري هنا؟!

(يقوم الأطفال بمهمتهم ويخرجون من الشاشة كما دخلــوا، فتعود ملامح البلاهـــة والبلادة إلى وجه عادل، ويتكلم كالخارج من غيبوبة).

عادل : ما الذي جــرى؟! أين أنا؟! (ينظر إلى المذيعة) من أنت؟! من أتى بي إلى هنا؟!

المذيعة : أســتاذ عادل... أنت في التلفزيون... كنت تحدثنا عن هــذا الصــاروخ وهذه الســمكة وعن عينيك العجيبتين!

عادل : في التلفزيــون؟!! وكيف يتســع جهاز صــغير بهذا الحجــم لشــخص في مثــل حجمي؟! لا بــد أنك تمزحين... أليس كذلك؟! ثم من قال إن هذا الشيء صــاروخ؟! يا لها من نكتة!! إنهــا مجرد دراجة... دراجة ســخيفة معطّلة! وهذه الغيمة... هل يمكن أن تكون ســمكة إلا في عيون الأغــ... (ينظر إلى المذيعــة) أعتذر... لا يجب أن أقــول هذا الكلام لســيدة محترمة مثلك... لكن لساني تبرأ مني منذ زمن طويل!

(تحاول المذيعة أن ترفع صوتها لتتغلب على صوته كي تنهي البرنامج).

المذيعة : أيتها الســيدات والسادة نعتذر لهذا الخلل ونعدكم بتقديم البرنامج لاحقاً... إلى اللقاء...

(يضحك الأطفال)

ستارة

المشهد الثالث

يظهر الأطفال في الحديقة وهم يلعبون ويعملون في عالمهم الجديد، ثم يُسمع صوت شجار وصراخ كالذي سُمع عند دخول عادل إلى المسرح أول مرة، ويدخل عادل المسرح كما دخل من قبل، كأنه هارب من أحد ما، ثم يخاطب جمهور الأطفال في الصالة...

عادل : هل رأيتم ؟! أترضون بما فعل بي هؤلاء الأطفال؟! بعد أن أصبحت شاعراً كبيراً انتزعوا مني عيونهم لأعود كما كنت! يا لحظي التعيس! ترى هل كنت مخطئاً حين أنكرت أنهم أعطوني عيونهم؟! (يكرر السؤال وينتظر الإجابة من الأطفال الحاضرين في الصالة) هل كنت مخطئاً؟! أجيبوني أرجوكم... (تأتيه الإجابة من الأطفال)

عادل : إذاً فأنتم ترون أنني كنت مخطئاً ... أعتقد أنكم على حق... لكن ألا يمكن أن تخبروني بما يمكن أن أفعل؟! كيف أصلح الخطأ الذي ارتكبته لأصالح أصدقائي الصغار؟! ألا تساعدونني؟! قولوا لي ماذا أفعل... (تأتيه الإجابة من الصالة) أعتذر؟

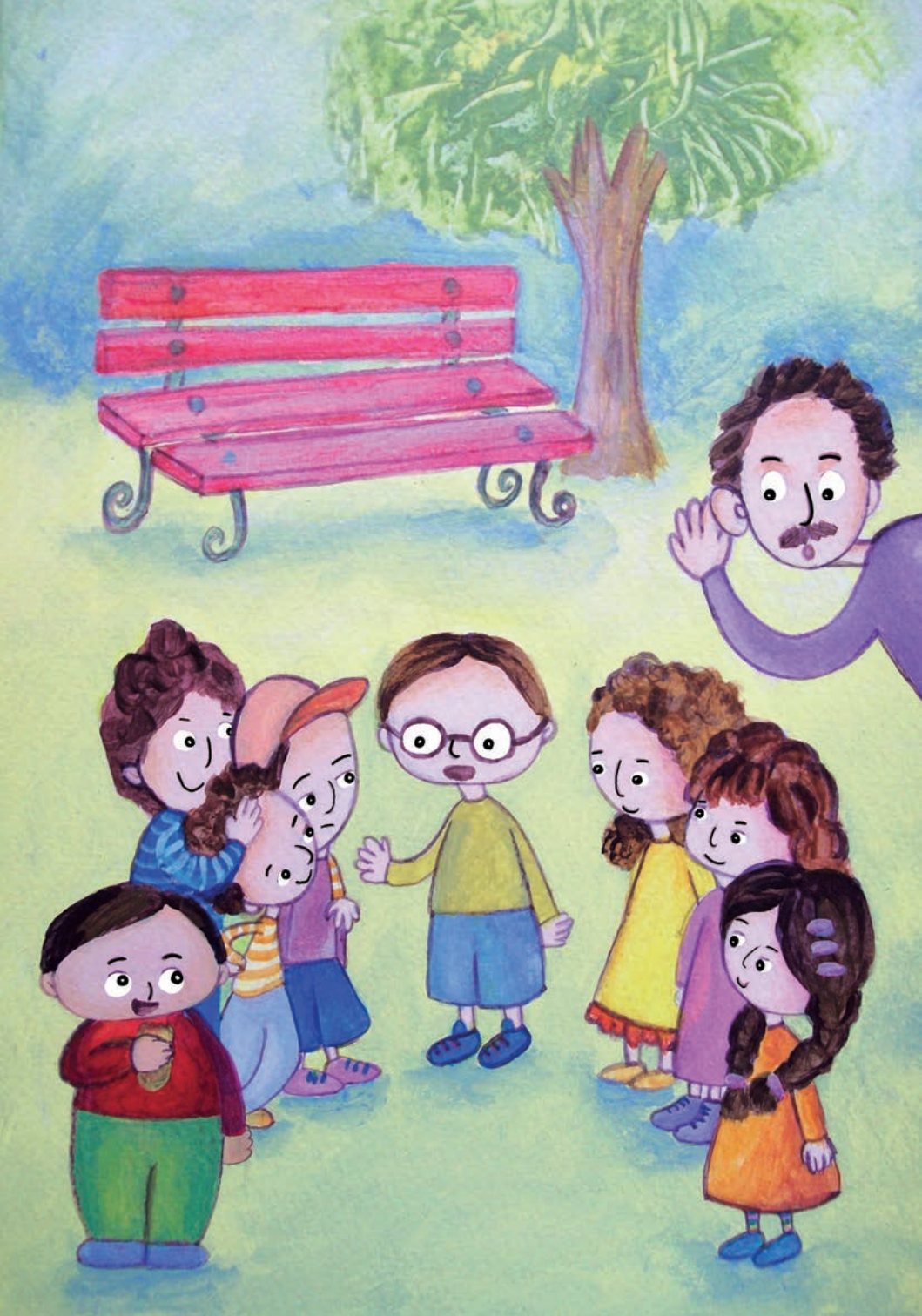

نعم... نعم... معكم حق... (يتردد) لكن أليس عيباً أن نعتذر؟! (ينتظر الإجابة أيضاً من الصالة) لا؟! لا... صحيح... معكم حق... إذا كنت مخطئاً فليس عيباً أن أعتذر ممن أخطأت بحقه... سأذهب إلى أصـــدقائي الأطفال الآن لأعتـــذر منهم... (يتجه نحو الأطفال فيصطدم بالحائط) يا إلهي... هذا الحائط مرة أخرى! (يرفع صوته مخاطباً أصدقاءه الأطفال) مرحباً يا أصدقاء... (يلوّح لهم بيده فلا ينتبه له الأطفال المنهمكون في العمل، فيطرق على الجدار الخفي، ويسمع الجمهور في الصالة صوت الطرق على الجـــدار، ثم يســـمع الأطفال الطرق ويلتفتون نحو عادل).

خالد : إنه العم عادل!

هاني : هل تسمحون له بالدخول؟!

ماهر : لا؛ بالطبع...

مهند : هل يمكن أن نسمح له بالدخول بعد ما فعله؟! لقد اتفقنا... أليس كذلك؟

وداد : فلنخرج إليه إذاً...

(يتجه الأطفال نحو عادل وكأنهم تجاوزوا السور)

عادل : مرحباً يا أصدقاء...

الأطفال : (ببرود) مرحباً...

فؤاد : كيف كانت مقابلة التلفزيون يا عم عادل؟

عادل : لقد جئت خصيصاً لأجل هذا...

هاني : لأجل ماذا؟!

عادل : لأعتذر إليكم... في الحقيقة لقد فكرت بنفسي وقررت أن أعتذر!

سناء : ألا تريد أن تفكر فيما قلت للتو قبل أن يغضب منك أطفال آخرون؟! (تشير بشكل غير مباشر إلى الأطفال في الصالة، فيشعر عادل بالارتباك).

عادل : أنا أعتذر.. (ثم يتوجه إلى الأطفال في الصالة) وأعتذر منكم أيضاً.. (ثم يعود لمخاطبة أصدقائه) في الحقيقة إنها ليست فكرتي أنا..لقد نصحني أصدقائي الأطفال في الصالة بأن أعتذر، فهل تسامحونني؟!

(يعبس الأطفال في وجهه دون أن يجيبوا)

فادية : وهل تعتقد أن الأمر بهذه البساطة يا عم عادل بعد أن أخطأت في حقنا؟!

عادل : صـــدقوني يا أصـــدقائي... مذ تخليتم عني تخلى عني الجميع! فبعد أن صرت شاعراً كبيراً ومشهوراً يشار إليه بالبنبان...

ماهر : تقصد بالبنان يا أستاذ!

عادل : نعم... نعم... بالبنان...

هاني : لحظة من فضلكم... ما هو هذا البنان؟!

ماهر : إنها أطراف الأصابع...

عادل : (يحاول مقاطعة الأطفال كي يُتمّ حديثه) المهم... المهم... صار الجميع الآن يسخرون بي! تصوروا... عندما كنت أحمل عينَي طفل، بل بالأصح عندما كنت طفلاً في كل تصرفاتي وأفكاري ومفرداتي، احترمني الجميع ورفعوا من شـــأني واعتبروني شـــاعراً عظيماً! وعندما رجعت فجأة إلى عمري الحقيقي تخلى الجميع عني!

فؤاد : غريب! فلماذا لا يحترموننا ونحن أطفال حقيقيون، ولسنا مجرد كبار يتصرفون كالأطفال؟!

وداد : ألا ترى في كلامك ظلماً لكثيرٍ من الكبار يا فؤاد؟!

ماهر : نعم... فلطالما وجدنـــا من يحترمنا ويعتني بآرائنا وبمواهبنا .

(يقلد الأطفال الكبار)

سناء : يا أستاذ سامي... ما مناسبة جمعنا هنا الآن؟!

ماهر : (يأخذ دور الأستاذ سامي) جمعتكم لأريَكم هذه اللوحة الرائعة التي رسمها زميلكم مهند ... فلنصفق له... (يصفق الأطفال) إنها تُظهر قدرة كبيرة على الملاحظة، وقدرة على استخدام الألوان بشكل رائع وبصبر كبير..

فادية : ولا تنسوا معلمتنا الآنسة هالة! (تتقدم فادية آخذة دور المعلمة) واليوم ، يا أطفالي الأعزاء ، سنقدم هذه الهدية لصديقتنا سناء تعبيراً منا عن إعجابنا بصوتها الجميل! إنها حقّاً تستحق الإعجاب والتكريم...

ماهر : هذا صحيح... والدي أيضاً اشترى لي جهاز كمبيوتر كي أطور قدراتي في استخدامه عندما أظهرتُ اهتماماً بالكمبيوتر وبرامجه!

سناء : ووالدتي تركت كل أعمالها يوم دعوتُها لحضور الحفلة الغنائية التي كنت أشارك فيها، رغم أهمية تلك الأعمال وصعوبة تأجيلها...

وداد : لهذا كانَ علينا ألاّ نظلم الكبار كلهم!

مهند : إنهم يحبوننا...

هاني : إنهم يعتنون بنا...

فادية : يقلقون علينا...

سناء : ويلعبون معنا...

خالد : ويطعموننا...

(يضحك الأطفال)

فؤاد : أنا أوافقكم... فماذا تقترحون إذاً؟

خالد : (يقلد فؤاد) أقترح أن نقوم ببعض المشاورات كالعادة كي نتفق...

فؤاد : (يضحك) هيا...

وداد : (تخاطب العم عادل) انتظِرْنا قليلاً يا عم عادل حتى نرى ما سنفعل...

عادل : أنا بانتظاركم، لكن لا تكونوا قساة! فالأطفال طيبون... أليس كذلك؟!

سناء : جيد أنك تذكرت طيبة الأطفال...

(يتجمع الأطفال كالعادة للتشاور)

خالد : ماذا ترون أن نفعل؟!

مهند : أرى ألّا نثق ثانية بوعوده لنا...

وداد : على رسلكم... علينا ألّا نستعجل اتخاذ القرار ونحن منزعجون...

فادية : معــك حق يــا وداد... فانزعاجنا وعصــبيتنا قد يسببان اتخاذنا للقرارات الخاطئة!

وداد : إذاً فلنفكر بهدوء... دعوني أسألكم: ما الذي كنتم تريدونه من العم عادل؟!

فؤاد : على الأقل كان عليه أن يقول لنا شكراً!

وداد : وهل تطلبون ثمناً لقــاء عمل الخير الذي تقومون به؟!

(ينظر الأطفال إلى بعضهم بعضاً)

مهند : بهذا غلبتِنا يا وداد!

وداد : ثم إنه أتى واعتذر منا... ألا يكفي هذا؟!

فادية : ومنذ قليل فقط كنتم تتحدثون عن الكبار الطيبين المتعاونين معنا...

سناء : هذا صــحيح... علينا ألّا نعاقــب واحداً بجريرة آخر!

وداد : أخبروني... ألم يســبق لأحد منكــم أن أخطأ؟! ألم يعامله الكبار بطيبة وتسامح؟!

هاني : أنت على حق... مرة حصــلت على علامة متدنية في مذاكرة الرياضيات وكنت أتوقع أن يغضب أبي كثيراً وأن يعاقبني، لكنه ســاعدني على الدراســة

بشـــكل أفضل حتى حصلت على علامة أفضل في الاختبار التالي...

مهند : وأنـــا أوقعت الألوان مرة فوق الســـجادة، فاكتفت أمي بأن طلبت مني الانتباه أكثر، رغم التعب الكبير الذي عانته في تنظيفها...

خالد : فماذا تقترحون إذاً؟!

وداد : أقترح أن نسامحه...

فادية : وأنا أقترح أن نعيـــده إلى عالم الأطفال، وأن نهديه أعيننا ثانية! ماذا قلتم؟

الأطفال : نحن موافقون!

مجموعة من الأطفال: فالأطفال طيبون...

مجموعة ثانية منهـم: والأطفال متسامحون...

مهند : هيا بنا... فلنخبره بقرارنا...

فؤاد : يا عم عادل...

عادل : (بلهفة) نعم... نعم يا أصدقائي...

خالد : لقد قررنا...

عادل : (بلهفة أيضاً) ماذا قررتم؟!

فادية : أن نسامحك وأن نعيدك إلى عالمنا...

عادل : صحيح؟! أكاد لا أصدق!

فؤاد : هيا بنا...

(يصرخ الأطفال وعادل:)

الجميع : هيييييه

(وهم يركضون عائدين إلى عالم الأطفال)

ستارة

المشهد الرابع

المكان: الحديقة التي يجتمع فيها الأطفال عادة...

تدخل وداد إلى المسرح وهي تفكر، ثم يدخل الأطفال بعدها ويلقون التحية...

الأطفال : صباح الخير... صباح الخير...

مهند : ما بك يا وداد؟! تبدين شاحبة!

وداد : في الحقيقة... لقد أمضيت الليل ساهرة أفكر في أمر أريد أن أعرضه عليكم!

فؤاد : ما هو هذا الأمر؟ تفضلي...

وداد : بصراحة؟ أخشى ألّا توافقوني عليه!

سناء : إن كان خيراً فلماذا لا نوافقك عليه؟!

فادية : قولي ما عندك يا وداد، ودعينا نناقش الأمر معاً...

وداد : إنه بخصوص عالمنا...

هاني : تقصدين عالم الأطفال؟

وداد : نعم...

خالد : ما به؟!

وداد : ألا نسميه عالماً؟!

الأطفال : بلى...

وداد : فلماذا لا نوسّعه حتى يضم العالم كله؟! أليس الأطفال أطفالاً في كل العالم؟! فلماذا يكون لنا عالم لا يكونون جزءاً فيه؟!

فادية : (بحماس) فكرتك رائعة يا وداد... فالأطفال أطفال أينما كانوا...

سناء : ولكن ألا يبني الأطفال حيث هم عوالمهم الخاصة بهم؟!

وداد : قد يكون هذا صحيحاً، لكن لماذا لا يكون عالم الأطفال واحداً؟!

فؤاد : أنا أوافقك تماماً...

هاني : وأنا أيضاً...

خالد : وأنا...

الجميع : وأنا...

مهند : إذاً سنوسّع عالمنا حتى يشمل الأطفال في العالم كله...

فؤاد : سنكون جميعاً أصدقاء...

هاني : سنلعب معاً...

ماهر : وندرس معاً...

فادية : ونضحك معاً...

سناء : ونغني معاً...

خالد : ونأكل معاً...

هاني : لكن... هذا يعني مزيداً من العمل... يا إلهي...

فادية : طبعاً... فتحرك معنا كي نبدأ في توسيع عالمنا...
(يهمّ الأطفال بالتحرك فتوقفهم وداد)

وداد : ولديّ أمر آخر...

خالد : (بتذمر) وما هو؟

وداد : قد يكون هو الأصعب، فأرجو أن تفكروا فيه جيداً..

فادية : أخبرينا...

وداد : الكبار...

عادل : (بخوف) الكبار؟! ما بهم؟! هل ستطردونني من عالمكم؟!

وداد : بالعكس يا عم عادل... (وتتوجه بالحديث إلى الأطفال) ألا ترون كيف تغيرت حياة العم عادل منذ أن أدخلناه إلى عالمنا؟!

فؤاد : نعم بالتأكيد...

مهند : لقد صار إنساناً سعيداً...

ماهر : صار مبدعاً...

فادية : صار لطيفاً...

هاني : ونشيطاً... مثلي...

عادل : (يسأل معاتباً) ألم أكن كذلك من قبل؟!
(يضحك الأطفال)

سناء : بـل كنت... ولكـن الطفولة أضـفت على كل تلك الصفات ألواناً جديدة...

وداد : ولدي سـؤال آخر: ألا تلاحظون كثرة الكبار الذين يتمنون كل يوم لو عادوا أطفالاً؟!

سناء : (تغني) «خلي العمر يرجعنا يخبي الأيام... ما عاد بدنا يكبّرنا مش راح ينلام!»

وداد : ولا تنسي أغنية فيروز يا سناء...

سناء : (تغني ويغني معها الأطفال) «تاع تانتخبّا من درب الأعمار... وإذا هنّي كبروا ونحنا بقينا صـغار... وسـألونا وين كنتو؟! وليش مـا كبرتو إنتو؟! منقلّن نسـينا! واللي نادى الناس ليكبر الناس راح ونسي ينادينا!!».

فؤاد : طيب يا وداد... وما الذي تريدين قوله؟!

وداد : ما أريد قوله... ما أريد قوله...

فادية : قولي... فنحن نسمعك...

وداد : أنا مترددة... لأن... هذا قد يبدو غريباً حقاً!

مهند : قولي ما تريدين، ونحن سنحكم...

وداد : لماذا لا نضم كل الكبار إلى عالمنا أيضاً؟!

سناء : نضـــم الكبار؟! لكن عالمنا لن يظـــل عالم الأطفال عندئذ!!

خالد : سيكون «شوربة»... (يمثل أنه يشرب الشوربة)

وداد : بل ســـيظل عـــالم الأطفال... ها قد ضـــممنا العم عادل وظل عالمُنا عالمَ الأطفال!

هاني : نعم... هذا صحيح...

وداد : بهذا سنجعلهم جميعاً مثل العم عادل... سعداء... طيبين...

هاني : سيساعدوننا في أعمالنا... يا سلام...

خالد : وسيكون أفضل إذا قاموا بكل أعمالنا لنتفرغ نحن لـــ... (يشـــير إلى الطعام في يده، لكنه يســـتدرك) لهواياتنا...

ماهر : دعونا من المـــزاح الآن، فالأمر جدّي... (يخاطب وداد) وما أدراك أنهم ســـيكونون سعداء وطيبين يا وداد؟!

وداد : لأننا سنهبهم عيوننا...

فادية : وقلوبنا...

مهند : وأرواحنا...

فؤاد : بهذا لن يظل على الأرض إنسان شرير...

سناء : لن يظل على الأرض إنسان أناني...

خالد : ولن يكون عليها متشردون...

سناء : ولا لصوص...

ماهر : ولا قنابل عنقودية...

خالد : ولا قنابل نووية...

وداد : ولا دبابات...

مهند : ولا تلوث...

سناء : وسنحمي الحيوانات...

هاني : ولكن هل نستطيع؟!

فادية : بالطبع نستطيع...

مجموعة من الأطفال: فالأطفال أذكياء...

مجموعة ثانية: والأطفال أقوياء...

وداد : هل أفهم من هذا أنكم جميعاً موافقون؟

الأطفال جميعاً : طبعاً موافقون...

فؤاد : فلنبدأ عملنا إذاً...

(يبدأ الأطفال بالعمل وتخفت الإضاءة على المسرح لتتوجه إلى إحدى زوايا الصـــالة، حيث يدخل عدة جنود مدججين بالسلاح على صوت موسيقى صاخبة...وفي منتصف المسافة قبل الوصول إلى المسرح، وحيث يمكن للأطفال في الصالة أن يروهم ويسمعوهم، يقف الجنود ويخاطبهم قائدهم).

القائد : كما أفهمتكم..كمادربتكم..لاترحموا شجراً ولا حجراً ولا بشراً..لا ترحموا صغيراً ولا كبيراً..هيا انطلقوا.

الجنود : حاضر سيدي...

(ويستديـرون للانطـلاق فيصطدمـون ببعضهـم ويقعون)

القائد : أيهـــا الأغبياء... انهضـــوا الآن ونفذوا ما أمرتكم به... ألقوا القبض على الجميـــع... أطلقوا النار على الجميع... هيا...

الجنود : حاضر سيدي...

(ينهضـــون ويتجهـــون نحو المسرح وهم يشـــهرون سلاحهم).

جندي١ : (يضع يده فوق جبينه وكأنه ينظر للبعيد) انظروا... إنهم أطفال يلعبون...

جندي٢ : فلنتسلل بهدوء كي نقبض عليهم...

جندي٣ : ولكن انتبهوا، فمعهم رجل أيضاً...

(يتقدمون ويصعدون إلى المسرح... عندها تعود الإضاءة إلى المسرح ويظهر الأطفال بوضوح وهم يلعبون ويعملون... يتقدم الجنود نحو الأطفال فيصطدمون بسور عالم الأطفال الخفي ويسقطون أرضاً وتسقط خوذهم وأسلحتهم، ثم يحاولون التقاطها وهم ينهضون بسرعة فيصطدمون ببعضهم بعضاً ويسقطون ثانية)

جندي١ : ما هذا؟!

جندي٢ : ما الذي جرى؟!

جندي٣ : لا أعرف يا أبله... هيا كي نكرر المحاولة...

(ويحاولون ثانية فيفشلون أيضاً في اختراق سور عالم الأطفال... وينتبه الأطفال إليهم وإلى جلبتهم)

فؤاد : انظروا... إنهم جنود يحاولون اقتحام عالمنا!

خالد : ماذا يجب أن نفعل؟! كيف سنمنعهم؟!

فادية : دعونا نفكر في طريقة...

جندي١ : (يعود راكضاً إلى القائد الذي وصل إلى المسرح متأخراً عن جنوده) لا يمكن اختراق هذا الشيء يا سيدي...

القائد : أيها الغبي... ليس على الأرض ما لا يمكننا اختراقه! فنحن الأقوى... ونحن الأشرس... تصرف...

جندي٢ : حاضر سيدي... تراجعوا قليلاً...

(يتراجع الجنـــود، ويُخرج أحدهم من جعبته قنبلة يحـــرر أمانهـــا ويلقيها على ســـور عـــالم الأطفال لتنفجر... يصـــدر دوي قـــوي ويعبق الدخان على المسرح ويصرخ الأطفـــال خوفاً، ثم يقتحم الجنود عالم الأطفال عبر السور الذي تحطم).

عادل : ما الذي تفعلونه ؟! ما الذي تريدونه ؟!

جندي٣ : أنتم قيد الاعتقال... هيا... هيا أمامنا...(يهددهم بالسلاح).

فؤاد : وبأية تهمة تعتقلوننا؟!

جندي١ : أية تهمة!! (يبـــدأ بالتأتأة وينظـــر إلى قائده وقد أحرجه السؤال) بأية تهمة يا سيدي؟!

القائد : بتهمة الطفولة! بتهمة اللعب! بتهمة الضحك! كل ما تفعلونه هـــو مقاومة لقـــوات الاحتلال! أعني لنـــا... ألا تكفي هذه التهمة؟! (يشـــير إلى الجنود ليتقدمـــوا، فيتقدمـــون عدة خطـــوات... يختبئ الأطفال وراء العم عادل الذي يصرخ:)

عادل : توقفوا... لا تقتربوا وإلا...

القائد : (يضـــحك) تهددنا؟! وهذه تهمة جديدة... ســـلّم نفسك وسلم الأطفال فوراً!

عادل : (يهمس للأطفال) اسمعوا... عندما أصرخ تهربون جميعاً...

ماهر : لن نتركك وحدك...

سناء : لن نهرب وأنت هنا...

عادل : ليس لدينا وقت... هيا...

(يحاول الجنود الاقتراب ثانية فيصرخ عادل...)

عادل : ابتعدوا... (ويهجم نحوهم فيطلقون النار عليه... عندها يســـقط على الأرض، ويعـــود إليه الأطفال الذين كانوا قد ابتعدوا قليلاً عنه في محاولة للهرب وهم يصرخون) :

الأطفال : أيها المجرمون...

(يتراجع الجنود ويحيط الأطفال بالعم عادل)

وداد : يا عم عادل...

هاني : استيقظ أرجوك...

مهند : قم يا صديقنا...

ماهر : لا يمكن أن تموت هكذا!!

(ويبدؤون بالبكاء)

فؤاد : (يمسح دموعه) كفوا عن البكاء ...

(ينظر إليه الأطفال بحزن)

فؤاد : هؤلاء الجنـــود لن ينتظروا طويلاً حتى يعودوا إلى مهاجمتنا!

هاني : وماذا يمكننا أن نفعل؟!

فؤاد : هل نسيتم أن لكم عيوناً تصنع المعجزات؟!

سناء : لا بد أنك أنت من نســيت أننـــا كنا نلعب فقط... لقد كانت لعبة! أليس كذلك؟!

فؤاد : كانت مجرد لعبة... وآن الأوان لنجعلها حقيقة!

مهند : ماذا تعني؟!

فؤاد : لا يمكن أن يموت العم عادل!! لقد كان يدافع عنا وعن عالم الأطفال! وســيظل حيـــاً إذاً!! انظروا... إنه حي! إن رأيتموه حياً فسيحيا...

(ينظر الأطفال إلى العم عادل بأمل وترقب)

الأطفال : إن رأيناه حياً فسيحيا...

(بعد لحظات يفتح العم عادل عينيه وينظر إليهم... فيصرخون فرحاً).

الأطفال : أنت حي يا عم عادل!!

عادل : نعـم يا أصدقائـي... أنـا حـي لأن عيونكم تراني حياً!

هاني : لكن... من هؤلاء؟! وماذا يريدون منا؟!

مهند : إنهم من يقتلون الطفولة ويفقؤون عيونها ويدمرون عالمَها... لقد سـمعت عنهـم ورأيتهم في الأخبار، وها قد وصـلوا في عدوانهم إلينا، فهم لا يوفّرون أحداً...

فادية : إنهم لا يدمرون عالم الصغار فقط...إنهم يدمرون عالمَ الكبار أيضاً!

عادل : إنهـم مـن يعيثـون فسـاداً في الأرض مـن أجل مصالحهـم... في الجـولان... في فلسطين... وفي العراق...

ماهر : وفي كل العالم...

فادية : لـن نسـمـح لهم باحتـلال أرضنا وبتدمير عالمنا! سنقاومهم...

خالد : لكن كيف؟!

هاني : لديهم أسلحة ونحن لا نملك سلاحاً...

فؤاد : سنقاومهم بعيوننا.. ثقوا بأعينكم..ولا تظنوا أن كل ما فعلناه منذ بداية المسرحية مجرد لعب أطفال!!

هاني : أنا خائف...

فؤاد : لا تدعوا الخوف ينسيكم ما تستطيع أعينكم فعله!
(يلتقط حجراً منَ الأرض ويعرضه على الأطفال)
أخبروني الآن: ما هذا؟!

هاني : إنه حجر!!

فؤاد : ها قد أخطأت يا هاني... فهذا الحجر قنبلة!!
(ينظر الأطفال إلى بعضهم بعضاً بدهشة وينهضون، وكذلك ينهض معهم عادل الذي غطت دماؤه ثيابه... يلتقط هاني عصا):

هاني : وهذه العصا بندقية...
(وتلتقط فادية غصناً).

فادية : وهذا الغصن سيف...
(وكل واحد من الأطفال يلتقط شيئاً منَ الأرض ويصرخون جميعاً...).

الأطفال : هذه أسلحتنا...

القائد : حاصروهم... ألقوا القبض عليهم... أطلقوا النار على كل من يقاومكم...
(يتقدم الجنود ويتقدم الأطفال للمواجهة، فيبدأ الجنود بالتراجع).

فؤاد : لا تنسوا أيها الأطفال...

الأطفال : ماذا؟!

فؤاد : عندما نعود منتصرين سنعيد بناء عالمنا الواسع!

وداد : بالطبع... وسيكون عالماً بلا أسوار... فعالم الأطفال لا يمكن أن تحدّه الأســوار ولا يمكن ألّا يكون ملكاً للجميع...

(يتراجع الجنود حتى يخرجوا من المسرح، والأطفال يتبعونهم بخطوات ثابتة حتى يخلُوَ المسرح تماماً).

إظـــلام

المحتويات

الصفحة

الجائزة الأولى :

عصفورة النجاة ٥

الجائزة الثانية :

بحرُ الذهبِ ١١٧

الجائزة الثالثة :

عيون الأطفال ١٦٩

الطبعة الأولى /٢٠١٣م

عدد الطبع : ١٠٠٠ نسخة